الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف- ميلة

مهعد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في مادة البلاغة والأسلوبية

-موجهة لطلبة سنة ثانية ماستر

_ تخصص لسانيات عربية

إعداد:

د. وسيلة مرباح

الموسم الجامعي : 2020م- 2021 م

مقدمة:

تشتغل هذه المحاضرات على معالجة عدة قضايا بلاغية وأخرى أسلوبية، انطلاقا من الوقوف على الجهاز المصطلحي لكل من علمي البلاغة و الأسلوبية، فتحديد النشأة التاريخية لكل منهما و ذلك بالرجوع إلى المنطلقات العلمية و الفكرية لكلا العلمين، ثم التطرق إلى مباحثهما واتجاهاتهما، واستقراء العلاقة القائمة بينهما.

فتذليل المصطلحات و تبسيطها و تحديد المنطلقات وتأصيلها يمكّن الطالب من فهم طبيعة المادة المدروسة، و معرفة مرجعياتها التي تحيل إلى أصولها وكيفية تبلورها علما مستقلا بأصوله وقواعده يحمل خصوصية تضبط طبيعة العلم وتبرز أهميته.

وتأتي أهمية هذه المحاضرات في جعل الطالب يتسلسل في معرفة أصول البلاغة العربية وأهم القضايا التي تعالجها علومها الثلاثة (البيان البديع و المعاني)، وتمكينه من تبويب مباحث هذه العلوم التي تتقاطع فيما بينها في كثير من الأحيان، وتبصّره بمدى اقتدار علماء البلاغة العربية في جعلها علوما مستقلة و إن كانت الحدود بينها غير بيّنة المعالم سواء من الناحية النظرية أو من الناحية الإجرائية، وقبل ذلك فصل البلاغة عن العلوم اللغوية و الأدبية التي تتقاطع معها في قضايا نقدية و جمالية و أسلوبية يصعب في أحايين كثيرة تصنيفها و تبويبها ضمن أي علم من العلوم السالفة الذكر، و ضمن هذا التداخل بين العلوم في بداية نشأتها دفع علماء البلاغة إلى تقعيد العلم و تقنينه، بهدف استقلاله بمباحثه وعلومه فأفرطوا في ذلك ليؤسسوا علما معياريا خالصا يحكم الظاهرة الأدبية بمقاييس مسبقة و أحكام جاهزة.

وأمام إفراط البلاغة في المعيارية و تدقيقها في تفاصيل الحكم على الظاهرة الأدبية فتح المجال للأسلوبية لتحل كبديل عنها بمنطلقات لسانية و أصول فلسفية منطقية، لتعيد الاعتبار للنص و جعله مركز انطلاقها و مجال اهتمامها و هدف دراستها، و ذلك بالابتعاد عن

المعيارية الخالصة، و الأحكام الجاهزة مستثمرة المنطلقات اللسانية السوسيرية بداية، و مبادئ المدرسة المثالية الألمانية فيما بعد.

وانطلاقا من هذه الأهمية تأتي هذه المحاضرات الموسومة "محاضرات في البلاغة والأسلوبية" موجهة لطلبة السنة الثانية ماستر لتكشف لهم عن بؤرة هذه المحاور المتمثلة في علاقة البلاغة بالأسلوبية التي شملت جدلا واسعا بين النقاد والدارسين، لتنشطر آراءهم إلى اتجاهات ثلاثة فإما اتصالا و إما انفصالا و إما تداخلا، ليحاول كل اتجاه أن يبرز زاوية رؤيته بالاعتماد على حجج و أدلة تدعم مصداقية موقفه، و تأكد وجهة نظره.

المحاضرة الأولى :مدخل

البلاغة العربية مصادرها ومدارسها:

أولا– العلوم المؤسسة للبلاغة العربية:

هناك عدة علوم ساهمت في نشأة البلاغة وإرساء معالمها، وجعلها علما مستقلا قائما بذاته له مباحثه وفروعه ومن هذه العلوم ما يأتي :

1. العلوم القرآنية:

اهتمت بالنص القرآني عدة علوم منها تلك التي اشتغلت بتفسيره وشرح مضامينه، من أجل بلوغ مقاصده كعلم التفسير، ومنها تلك التي تعمقت في بيان وجوه إعجازه كعلم الكلام، وعد العلماء أن هذين العلمين من بين أهم العلوم التي تتصل اتصالا وثيقا بالبلاغة وقضاياها منذ نشأتها، وسنعرض لهذه الصلة فيما سيأتي:

أ . علم التفسير والبلاغة:

قد كانت الصلة بين علم التفسير والبلاغة العربية منذ نشأة المحاولات الأولى لعلم التفسير التي اشتملت على ملاحظات بلاغية ذات شأن "فالتفسير علم يهتم في مجمله بتحليل النص القرآني من نواحيه اللغوية والبيانية، وتحليل الجانب البلاغي في القرآن الكريم مستوى من مستويات علم التفسير"[1]، ويعد كتاب التفسير "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى من المؤلفات الأولى التي تضمنت بعض الآراء والأفكار ذات قيمة بلاغية، حتى أن بعض مؤرخي البلاغة يعدونه أول كتاب في علم البلاغة .

[1] - علي عشرى زايد: البلاغة العربية تاريخها ومصادرها ومناهجها، دط، مكتبة الشباب، القاهرة، 1982، ص 13.

ب . علم الكلام والبلاغة:

تعد قضية الإعجاز القرآني واحدة من أهم القضايا التي عني بها علم الكلام منذ نشأته، وقد كان الجانب البلاغي في القرآن الكريم هو أبرز وجوه إعجازه.

والحقيقة أن قضية الإعجاز القرآني ذات منبت بلاغي، فقد نزل القرآن الكريم على النبي محمد . صلى الله عليه وسلم . فأنكر كفار قريش كون القرآن وحيا من الله تعالى، فتحداهم بأن يأتوا بمثله، وتدرج معهم في التحدي إلى حد مطالبتهم بالإتيان بسورة من أقصر سوره فعجزوا، ولأن العرب كانوا على قدر كبير من سلامة فطرتهم اللغوية فقد تمكنوا من إدراك الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، وأن في نظمه أشياء تخرج عن استطاعة البشر، وهذا ما عبر عنه أحد أكبر كفار قريش "الوليد بن المغيرة" حين قال :" لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه..."، وواضح من هذه العبارة تذوق الوليد حلاوة القرآن الكريم من خلال بلاغته، فقضية الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم هي التي جعلت من علم الكلام أحد أهم العلوم التي احتضنت نشأة البلاغة العربية وتطورها .

2. العلوم الأدبية:

تعد العلوم الأدبية هي المهد الطبيعي الذي احتضن نشأة الدراسة البلاغية، ذلك لأنها اهتمت بالنص الأدبي سواء من ناحية التأريخ له كتاريخ الأدب، أو من ناحية شرحه وتفسيره كعلم الأدب ، والبلاغة ذاتها ليست سوى واحد من تلك العلوم الأدبية، فمحور اهتمامها الأساسي النص الأدبي من حيث تحليل عباراته وتراكيبه تحليلا فنيا[2] .

ومن أبرز مظاهر تأثير العلوم الأدبية على الدرس البلاغي وقتئذ موسوعة الجاحظ "البيان والتبيين"، وعلى الرغم من أن الكتاب لا يشتمل على نظريات بلاغية محددة، وإنما هي أفكار

[2] - ينظر : علي عشري زايد :البلاغة العربية تاريخها ومصادرها ومناهجها، سبق ذكره، ص 18 .

وإشارات بلاغية ضمن كثير من الفنون التي اختلط فيها النقد بالأدب بالبلاغة إلا أنه :"احتوى على مجموعة من أهم الأصول البلاغية الأولى التي قامت عليها دعائم علم البلاغة فيما بعد، والتي جعلت مؤرخي البلاغة يعتبرون الجاحظ واحدا من الآباء الشرعيين لعلم البلاغة"[3].

3 . العلوم اللغوية :

أدت علوم اللغة أيضا دورا أساسيا في نشأة البلاغة العربية، يتمثل هذا الدور في طرق علماء اللغة والرواة قضايا بلاغية، من خلال استنباطهم لقواعدهم ومبادئهم اللغوية من النصوص الأدبية، وإلى جانب ذلك "فإنهم كانوا يعرضون لبعض الجوانب الأسلوبية والتعبيرية في هذه النصوص، لأن مجرد استخلاص قاعدة لغوية من نص ما يقتضي تحليل البناء اللغوي لهذا النص، وتناول الجوانب الأسلوبية فيهن ومن ثم فقد تناثرت هنا وهناك عبر مؤلفات هؤلاء اللغويين بعض الأفكار والملاحظات البلاغية العامة التي كانت بمثابة الأصول الأولى التي قام عليها علم البلاغة"[4]، فقد أشار ابن المعتز في كتابه البديع إلى أن الأصمعي ألف كتابا في التجنيس حيث يقول في تعريفه للتجنيس :"التجنيس هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل التي ألف الأصمعي كتاب الأجناس فيها"[5] ،وهذه إشارة من ابن المعتز تؤكد دور علم اللغة في نشأة البلاغة العربية.

ثانيا: مدارس البلاغة العربية:

يجمع علماء البلاغة على أن هناك اتجاهين في دراسة البلاغة والتأليف فيها هما : طريقة الأدباء، وطريقة المتكلمين، ولكل طريقة منهما خصائص تميزها عن الأخرى كما سنوضح في الآتي:

[3] ـ علي عشري زايد :البلاغة العربية تاريخها ومصادرها ومناهجها، سبق ذكر،ص 19.
[4] ـ المرجع نفسه، ص ص 20، 21 .
[5] ـ عبد الله بن المعتز: البديع، تحقيق: عبد المنعم خفاجي، دط: القاهرة 1954، ص 55 .

1 . المدرسة الأدبية

تحتكم هذه المدرسة إلى الذوق والفن والجمال "وتتميز بالإكثار المسرف من الأمثلة والشواهد الأدبية، والإقلال من البحث في التعاريف والقواعد والاصطلاحات والأقسام، مع الاعتماد على الذوق وحاسة الجمال في تقدير المعاني الأدبية"[6]، وانطلاقا من هذا فهي تتميز بجملة من الخصائص منها :

ـ الإكثار من الشواهد الأدبية نثرها وشعرها.

ـ الإقلال من البحث في التعريفات والقواعد والأقسام.

ـ الاعتماد في النقد الأدبي على الذوق الفني، وحاسة الجمال أكثر من اعتمادها على المنطق وسلطان العقل.

ـ التأكيد على القيمة من حيث أثرها في التعبير، ودورها الجمالي والدلالي[7].

ومن أهم كتب هذه المدرسة: كتاب البديع لابن المعتز، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، والبديع لأسامة بن منقذ، والمثل السائر والجامع الكبير لابن الأثير.

2 ــ المدرسة الكلامية:

تستغل هذه المدرسة قوى المنطق، وما أتيح لهم من رياضة عقلية، ومن أهم خصائصها :

ـ إصدار أحكام عقلية في المسائل البلاغية.

ـ الاعتماد على الجدل والمناقشة.

---

[6] ـ أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دط، دار المعرفة، 1961، ص 230 .

[7] ــ ينظر : يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، العبدلي الأردن، 2007م، ص 24.

ـ العناية بالتعريفات والقواعد والانخراط في المعيارية

ـ الإقلال من الشواهد الأدبية.

ـ استعمال المقاييس الفلسفية المعتمدة على قواعد منطقية في الحكم الأدبي، دون النظر إلى معاني الجمال وقضايا الذوق[8].

من أهم كتب هذه المدرسة: نقد الشعر لقدامة بن جعفر، دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، الكشاف للزمحشري، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدين الرازي، مفتاح العلوم للسكاكي، تلخيص المفتاح والإيضاح للقزويني، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي .

[8] ـ ينظر : يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية،سبق ذكره، ص 25 .

المحاضرة الثانية : تعريف البلاغة :

أولا-تعريف البلاغة

1- لغة:

ورد في المعجم الوسيط بأن :"بَلَغَ الشجر بَلُغ وبُلوغا، وبَلاغا: حان إدراك ثمره، وبَلَغ الغلام: أدرك، وبَلَغ الأمر : وصل إلى غايته، ومنه "حِكمةٌ بالغَةٌ"، وبَلَغ الشيء بُلوغا: وصل إليه . وبَلَغ وبَلُغ بلاغة، فَصُح وحَسُن بيانه فهو بليغ(ج) بُلَغاء، ويقال بَلَغ الكلام (أبلغه) الشيء إليه: أوصله إليه "[9] .

وجاء في لسان العرب أن "البلاغة : الفصاحة، والبَلغ و البِلغ : البليغ من الرجال، ورجل بليغ وبلْغ وبِلْغ :حَسَن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كُنه ما في قلبه، والجمع بُلغاء، وقد بلُغ بالضم بلاغة أي صار بليغا"[10] .

فالبلاغة عند أهل اللغة تحمل معنيين :

- وصول الشيء إلى غايته .
- حسن الكلام مع فصاحته.

2- اصطلاحا:

عرفها الخطيب القزويني بقوله :"وأما بلاغة الكلام فهي: مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته "[11] .

---

[9] - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، مصر العربية، 2004م، مادة (بلغ)، ص 69 .

[10] - ابن منظور: لسان العرب، المجلد8، دار صادر، بيروت، مادة (بلغ)، ص420 ..

[11] - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة،ط1، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ص 20 .

يتحدد في هذا المفهوم عناصر العملية البلاغية هي :

- الكلام : ويقتضي باثا ومتلقيا .
- الحال :"المقام" هو الأمر الذي يدعو المتكلم إلى إيراد حصوصية في التركيب.
- المقتضى: (الاعتبار المناسب) هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة.
- مقتضى الحال: هو إيراد الكلام على تلك الصورة.
- الفصاحة :سنتطرق إلى مفهومها فيما سيأتي.

كما أورد الجاحظ في كتابه البيان والتبيين تعريفات عدة للبلاغة منها قوله :"سئل ابن المقفع عن البلاغة قال :البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل، فعامة ما يكون في هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى، والإيجاز هو البلاغة"[12] .

نستنتج من تعريف ابن المقفع للبلاغة ما يأتي :

- بلاغة السكوت: ويقصد بها السكوت الذي يتطلبه المقام .
- بلاغة الاستماع: يقصد بها حسن الاستماع الذي يؤدي إلى حسن الفهم.
- البلاغة في الاحتجاج: وتعني كفاية الرد والجواب في مقام المناظرات والمناقشات.
- ومنها ما يكون ابتداء: مناسبة الاستهلال للمقام.
- ومنها ما يكون شعر ومنها ما يكون سجعا وخطبا ومنها ما يكون رسائل: ويقصد بها صنوف الفنون التي تعد البلاغة إحدى أهم شروط فنيتها، ولكل لون فني مقامه الخاص.

[12] - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، تحقيق: عبد السلام هارون،ص 115، 116 .

- فعامة ما يكون فيها : يشير ابن المقفع إلى معيار البلاغة الذي لا يخرج عن هذين الشرطين هما :

- الإلهام والإشارة إلى المعنى .
- الإيجاز بالقدر الذي يحتاجه المعنى .

يتضح مما سبق من التعريفات الاصطلاحية للبلاغة شروط الكلام البليغ والتي تتلخص في الآتي:

- أن يكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال.
- أن تكون غاية المتكلم إفهام السامع.
- أن يكون الكلام موجزا.
- أن يكون فصيح المفردات والجمل.

فأما الشروط الثلاثة الأولى فقد تطرقنا إلى شرحها فيما سبق، وأما الشرط الأخير المتعلق بالفصاحة فسنتطرق إليه بنوع من التفصيل فيما يأتي ذلك لأن الفصاحة لها تقاطع كبير مع البلاغة سواء من حيث المفهوم أو من حيث الإجراء .

ثانيا- مفهوم الفصاحة

1ــ لغة :

جاء في القاموس المحيط بأنها: " الفَصْحُ والفَصاحة: البيان، فصُح، ككَرُم، فهو فصيح وفَصْحُ من فُصحاء و فِصاح وفُصَح، وهي فصيحة من فصاح و فصائح، أو اللفظ الفصيح، ما يُدرَكُ حُسنُه بالسمع، وفصُح الأعجمي ككَرُم : تكلم بالعربية، وفُهِم عنه، أو كان عربيا

فازداد فصاحة، كتفَصَّحَ، وأفصح: تكلم بالفصاحة، ويومٌ فِصح بالكسر ومُفصَح :بلا غيم ولا قر، وأفصح اللبن: ذهبت رغوته"[13] .

وتكاد تجمع كل المعاجم العربية على أن الفصاحة في معناها اللغوي تعني : الظهور والخلوص والإبانة .

2- **اصطلاحا:**

يعرفها السكاكي بقوله: :"وأما الفصاحة فهي قسمان :راجع إلى المعنى وهو خلوص الكلام عن التعقيد، وراجع إلى اللفظ وهو أن تكون الكلمة عربية أصلية، وعلامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور، واستعمالهم لها أكثر، لا مما أحدثها المولدون ولا مما أخطأت فيه العامة، وأن تكون أجرى على قوانين اللغة وأن تكون سليمة عن التنافر"[14] .

نستخلص من هذا القول أن للفصاحة شروطا سنوضحها فيما يأتي:

1ـ **سلامة التركيب من ضعف التأليف :**

ونقصد بضعف التأليف"أن يكون تأليف الكلام مخالفا لما اشتُهر من قوانين النحو المشهورة"[15] ، كرجوع الضمير على متأخر لفظا ورتبة في قول حسان بن ثابت :

ولو أن مجدا أخلد الدهر واحدا من الناس أبقى مجده الدهر مطعما.

فإن الضمير في "مجده" راجع إلى " مطعما" وهو متأخر في اللفظ، وفي الرتبة لأنه مفعول به.

وكنصب المضارع بلا نصب نحو قول المتنبي :

[13] - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ط8، تحقيق: مكتب تحقيق التراث لمؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005م، مادة (فصح)، ص 234 .

[14] - أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ط2، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م، ص 416 .

[15] - أحمد مصطفى المراغي : علوم البلاغة، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م، ص 28 .

أنظر قبل تلوماني إلى طلل بين النقا والمنحنى[16]

2 . **سلامة التركيب من التنافر:**

وقد تحدث الجاحظ عن تنافر الألفاظ فقال : «ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر وإن كانت مجموعة فى بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلّا ببعض الاستكراه فمن ذلك قول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

ولما رأى من لا علم له أنّ أحدا لا يستطيع أن ينشد هذا البيت ثلاث مرات فى نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج ، وقيل لهم : إنّ ذلك إنما اعتراه إذ كان من أشعار الجن ، صدقوا بذلك.

ومن ذلك قول ابن يسير :

لم يضرها والحمد لله شيء وانثنت نحو عزف نفس ذهول

فتفقّد النصف الأخير من هذا البيت فانك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض"[17]

وينبغي أن تكون الألفاظ متماثلة متلائمة كي لا يقع بينها التنافر فتصبح كـــأولاد علة يقول: "وأنشدني أبو العاصي ، قال : أنشدني خلف الأحمر في هذا المعنى :

وبعض قريض القوم أولاد علة[18] يكد لسان الناطق المتحفظ.

وقال أبو العاصي : وأنشدني في ذلك أبو البيداء الرياحي :

وشعر كبعر الكبش فرّق بينه لسان دعيّ في القريض دخيل

[16] ـ موضعان .
[17] ـ أبو عثمان عمرو بن بحر(الجاحظ): البيان والتبيين، ج1،سبق ذكره، ص65.
[18] ـ أولاد علة: هم بنو رجل واحد من أمهات شتى.

فإنه يقول : إذا كان الشعر مستكرها وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلّات. وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيا موافقا كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة.

قال : وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنّه قد أفرغ إفراغا واحدا ، وسبك سبكا واحدا ، فهو يجرى على اللسان كما يجرى على الدهان.

وأما قوله : «كبعر الكبش» فإنما ذهب إلى أنّ بعر الكبش يقع متفرقا غير مؤتلف ولا متجاور وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملسا ولينة المعاطف سهلة ، وتراها مختلفة متباينة ومتنافرة مستكرهة تشق على اللسان وتكده ، والأخرى تراها سهلة لينة ورطبة مواتية ، سلسة النظام خفيفة على اللسان حتى كأنّ البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأنّ الكلمة بأسرها حرف واحد[19].

3 ـ سلامة التركيب من التعقيد اللفظي:

وحقيقته "أن تكون الألفاظ مرتبة لا على وفق ترتيب المعاني، فيفسد نظام الكلام وتأليفه بسبب ما يحصل فيه من تقديم وتأخير ونحو ذلك، كتقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول" [20].

ومثال ذلك قول المتنبي :

أنّى يكون أبا البرية آدم وأبوك والثقلان أنت محمد ؟

والوضع الصحيح أن يقول: كيف يكون آدم أبو البرية، وأبوك محمد وأنت الثقلان؟ فقد فصل بين المبتدأ والخبر وهما " أبوك محمد" وقدم الخبر على المبتدأ تقديما يدعو إلى اللبس في قوله "والثقلان أنت"[21].

[19] ـ ينظر :الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، سبق ذكره، ص 66 .
[20] ـ أحمد مصطفى المراغي : علوم البلاغة، سبق ذكره، ص 29 .

وكقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مُمَلّكا أبو أمه حيٌّ أبوه يقاربه.

يعلق القزويني على هذا البيت فيقول :"كان حقه أن يقول: وما مثله في الناس حيٌّ يقاربه إلاّ مملكا أبو أمه أبوه، فإنه مدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان فقال : وما مثله ـ يعني إبراهيم الممدوح ـ في الناس حي يقاربه، أي أحد يشبهه في الفضائل، إلا مملكا، يعني هشاما، أبو أمه، أي أبو أم هشام أبوه، أي أبو الممدوح

فالضمير في "أمه" للملَّك، وفي "أبوه" للممدوح، ففصل بين "أبو أمه" وهو مبتدأ و"أبوه" وهو خبر ب "حيّ" وهو أجنبي وكذا فصل بين "حي" و"يقاربه" وهو نعت حي بـ "أبوه" وهو أجنبي وقدم المستثنى على المستثنى منه، فهو كما تراه في غاية التعقيد" [22] .

4- التعقيد المعنوي :

عرفه القزويني بقوله :"هو أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني ـ الذي هو لازمه والمراد به ـ ظاهرا"[23] .

كقول العباس بن أحنف :

سَأَطلُب بُعدَ الدّار عنكم لتَقرَبوا وتَسكُبُ عَينَايَ الدُّمُوع لتَجمُدا.

كنى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن وقد أصاب في ذلك، ثم طرد ذلك في نقيضه، فأراد أن يكنّي عما يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود لظنه أن الجمود خلوّ العين

[21] - ينظر : علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دط، مكتبة البشرى، باكستان، 2010م، ص 6، 7 .
[22] - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، سبق ذكره، ص 17 .
[23] - نفسه: ص 16 .

من البكاء مطلقا من غير اعتبار شيء آخر، وأخطأ لأن الجمود خلوّ العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها فلا يكون كناية عن المسرة، وإنما يكون كناية عن البخل[24] .

ويلخص صاحب كتاب البلاغة الواضحة شروط الكلام الفصيح بقوله :"فالكلام الفصيح ما كان واضح المعنى، سهل اللفظ، جيد السبك، ولهذا وجب أن تكون كل كلمة فيه جارية على القياس الصرفي، بينة في معناها، مفهومة عذبة سلسة، وإنما تكون الكلمة كذلك إذا كانت مألوفة الاستعمال بين النابهين من الكتّاب والشعراء، لأنها لم تتداولها ألسنتهم، ولم تجر بها أقلامهم إلا لمكانها من الحسن باستكمالها جميع ما تقدم من نعوت الجودة وصفات الجمال" [25].

[24] - ينظر: نفسه، ص 17، 18 .
[25] - علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، سبق ذكره، ص5 .

المحاضرة الثالثة: تاريخ البلاغة

أولا – العصر الجاهلي:

عُرف العرب بالفصاحة في اللفظ والبلاغة في الأسلوب، وبلغوا في ذلك مرتبة رفيعة، وقد وصفهم القرآن الكريم بالقول الجذاب والمستميل فقال: ﴿**وَإِن يقُولوا تَسمَع لِقَولِهِم**﴾ سورة المنافقون الآية 4، وقوله أيضا : ﴿ **وَمن النّاسِ مَن يُعجبُك قَولُه فِي الحَيَاةِ الدَّنيا**﴾ سورة البقرة/ 204، كما صورهم أيضا بتميزهم بشدة جدالهم، وقوة حجاجهم، فقال : ﴿**فإذا ذَهَبَ الخَوفُ سَلَقُوكُم بِأَلسِنَةٍ حِدَاد**﴾ سورة الأحزاب/ 19.

ويكاد يجمع المهتمون على أن الشعر أحد أهم ما تميزت به الحضارة العربية "وأنه قل أن نصادف في تاريخ الإنسانية الطويل قوما اهتموا بأدبهم اهتمام العرب بشعرهم"[26] ، فلقد كان الشعر هو العنصر الأساس في حياتهم الثقافية، ونمط التعبير الوحيد الذي سخروا له كل طاقاتهم الإبداعية إلى درجة أنهم أهملوا الأنماط التعبيرية الأخرى،كما قال عن ذلك ابن سلام الجمحي:"علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه"[27] فقد جعلوه ديوان أخبارهم ومآثرهم، ومصدر علومهم.

مما تميز به العرب أيضا هو تذوقهم الفطري للأسلوب، وفطنتهم بجيده و رديئه "ونشأ عن ذلك ظهور آراء نقدية كانت هي الأساس الأول للنقد الأدبي عند العرب"[28].

ومن جملة تلك الآراء ما يأتي :

[26] - حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، دط، منشورات الجامعة التونسية، ص23 .

[27]– ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعرا، تحقيق وشرح: محمد محمد شاكر، دط، 1952، ص 22 .

[28] - يوسف أبو العدوس: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2007م، ص 3 .

1ـ المفاضلة بين شاعر وآخر:

من ذلك ما ترويه كتب الأدب عن أم جندب زوجة امرئ القيس حين عُرض عليها أن تقضي بين زوجها وعلقمة الفحل، فحكمت لعلقمة، وقالت لزوجها "علقمة أشعر منك، قال كيف؟ قالت لأنك قلت :

فللسّوط أُلهوب وللساق درّة وللزّجر منه وقع أَخرَجَ[29] مُهذب.

فجهدت فرسك بسوطك في زجرك ومَرَيتَه فأتعبتَه بساقك، وقال علقمة :

فأَدرَكَهن ثانيا من عنانه يَمُرّ كَمَرّ الرائح المتجلب .

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه ولم يضربه ولم يتعبه"[30].

وتدخل ضمن المفاضلة بين الشعراء أيضا ما يروى عن النابغة الذبياني، وقد نصبته العرب يحكم بين الشعراء "وكان في أثناء ذلك يبدي بعض الملاحظات على معاني الشعراء وأساليبهم

ويقال أنه فضّل الأعشى على حسان بن ثابت، وفضل الخنساء على بنات جنسها، وثار حسان عليه، وقال له: أنا والله أشعر منك ومنها، فقال له النابغة حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول :

لنا الجَفَنَاتُ الغُرّ يلمعنَ بالضحى وأسيافُنا يَقطُرن من نجدة دَماَ .

ولدنا بني العنقاء، وابني محرّق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا إبنما.

فقال له النابغة: "إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك، وفخرت بمن ولدتَ ولم تفخر بمن ولدك، وفي رواية أخرى، قال له: إنك قُلت الجفنات فقللت العدد، ولو قلت الجفان لكان أكثر وقلت: يلمعن في الضحى، ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ في المديح، لأن الضيف بالليل

[29] ـ الأخرج: ذكر النعام ، والخرج: بياض في سواد وبه سُميَّ .

[30] - حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، سبق ذكره، ص 25 .

أكثر طروقا، وقلت يقطرن من نجدة دما، فدلّلت على قلة القتل، ولو قلت يجرَينَ لكان أكثر لانصباب الدم، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك، فقام حسان منكسرا"[31].

فهذه الرواية التي موضوعها المفاضلة بين الشعراء تدل على أن العرب كان لهم وعي نقدي وأن الأحكام تنطلق من الشعر ذاته، وذلك بالنظر في خصائصه اللغوية على وجه الخصوص.

2- **تنقيح الشعراء والخطباء لمنجزهم الإبداعي:**

إن اهتمام الشعراء بتنقيح إنجازهم إنما يدل على وعيهم بأهمية عنصر الاختيار في عملهم وإقرارهم بتفاضل الكلام بعضه عن بعض في فصاحة اللفظ وبلاغة الأسلوب، إلى درجة أنهم كانوا يعكفون على أشعارهم أياما وشهورا من أجل أن تنال الدرجات العلى من الجودة، يقول الجاحظ :"ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا [كاملا]، وزمنا طويلا يردد فيها نظَرَه، ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه اتهاما لعقله، وتتبعا على نفسه

فيجعل عقله زماما على رأيه، ورأيه عيارا على شعره، إشفاقا على أدبه، وإحرازا لما خوله الله تعالى على نعمته، وكانوا يسمّون تلك القصائد الحوليات، والمقلدات، والمنقحات، والمحكمات ليصير قائلها فحلا خنذيدا، وشاعرا مفلقا"[32] .

والمقصود من هذا أن شعراء الجاهلية يعتمدون معايير يميزون بها جيد الكلام من رديئه "فبلغاؤهم من الخطباء والشعراء لم يكونوا يقبلون كل ما يرد على خواطرهم بل ما يزالون ينقحون ويجوّدون حتى يظفروا بأعمال جيدة، وهي أعمال كانوا يجيلون فيها الفكرة، ويعاودون النظر متكلفين جهودا شاقة في التماس المعنى المصيب تارة، والتماس اللفظ المتخير تـارة ثانية يقودهم في ذلك بَصَر محكم يميزون به المعاني بعضها من بعض، بحيث يصونون كلامهم عما قد يفسده أو يهجنه"[33].

[31] - شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ط9، دار المعارف، القاهرة، دت، ص 11

[32] - أبو عثمان عمرو بن بحر(الجاحظ)، البيان والتبيين، ج2، تحقيق: عبد السلام هارون، دط، مكتبة الخانجي، ص 9 .

[33] - شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، سبق ذكره، ص 10 .

3 ـ إدراك شعراء العصر الجاهلي أهم خاصية فنية في صياغة الشعر وهي التصوير:

وإن كان ذلك لم يتجاوز التشبيه الذي عُدَّ الأداة الأكثر التصاقا بالشعر وفنياته، من ذلك ما رواه الجاحظ في كتابه "الحيوان" أن عبد الرحمن بن حسان الأنصاري قال وهو صغير :

الله يعلم أني كنت مشتغلا في دار حسان أصطاد اليعاسيبا

وقال لأبيه ـ وهو صبي ـ ورجع إليه وهو يبكي ويقول :لسعني طائر، قال: صفه لي يا بني قال: كأنه ثوب حبرة، قال حسان: قال ابني الشعر ورب الكعبة.

فبيّن من هذه الرواية أن العرب تجاوزت مجرد التذوق الانطباعي إلى ربط البراعة في نظم الشعر بالبراعة في صياغة الصورة الفنية .

ثانيا– العصر الإسلامي:

إن أهم حدث ميز هذه الفترة هو معجزة القرآن الكريم، تلك المعجزة التي تميزت بخصائص جعلتها تتفرد عما سبقها من رسالات، ففضلا عن كونها رسالة احتوت كل ما يؤهلها لأن تؤدي دورا حضاريا شاملا، وذلك بجمعها بين البعد الروحي والبعد المادي، فإنها اتخذت من شكلها اللغوي حجة لنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، بمعنى أن "القرآن الكريم نزل لغرضين أساسيين، كونه معجزة الدين الإسلامي ودلالة صدق على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكونه كتاب هداية للناس جميعا لما فيه من صلاحهم في دنياهم وأخراهم" [34].

وقد كان للقرآن الكريم فضل كبير على الأمة العربية عامة وعلى لغتها خاصة "وإنما يعرف "فضل القرآن" من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خص اله لبه لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة

[34] ـ عبد العزيز عبد المعطي عرفة: تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها، ط1، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، 1978م، ص 34 .

والبيان، واتساع المجال ما أوتيته العرب ... وكان لمحمد صلى الله عليه وسلم، الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، لم يأتوا به، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"[35].

وبالرغم من اتساع معرفة العرب لأفانين القول وإدراكهم لأساليبه البلاغية، إلا أنهم عجزوا في تحدي القرآن الكريم لهم فيما برعوا فيه، ومـــا كان عجزهم إلا حجة على صدق نبـــوّة محمد –صلى الله عليه وسلم–، فتحداهم بأن يأتوا بمثله﴿ **فَلياتُوا بِحَديثٍ مِثلِه إِن كانوا صادِقين** ﴾ سورة الطور/ 34 ،أو بعشر سور مثله ﴿**أَم يَقُولونَ افْتَراه قُل فَاتوا بِعشرِ سُوَرٍ مِثلِه مُفتَرَياتٍ وَادعوا من استَطَعتُم من دون الله إِن كُنتم صادِقِين**﴾ سورة هود/ 13، وتدرج معهم في التحدي إلى أن يأتوا بسورة من مثله ﴿**أَم يَقولون افْتَرَاه قل فَاتوا بِسورة مِثلِه وَادعوا مَن استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ سورة يونس/ 38 فعجزوا .

ولم تستطع ردود الفعل الأولى الرافضة لهذه الرسالة إلا أن تقر بتميز خصائصه الأسلوبية وتفرد نمطه التعبيري، وبتأملهم للأسلوب القرآني ومقارنته بأسلوب كتاباتهم "قويت ملكة النقد وأصبحت تستعمل في مجال حصول الإيمان بالإسلام، فكان العربي يقوم إيمانه بالإسلام على أساس نقدي بياني، بمعنى أنه كان يسمع القرآن الكريم، ويقرأ آيات التحدي فينظر في القرآن الكريم ثم ينظر في كلام البشر، فيؤمن بأن القرآن الكريم نزل من عند الله وأن محمدا صلى الله عليه وسلم صادق فيما يبلغ عن ربه... لقد كان للقرآن الكريم أثر بعيد المدى في رقي البلاغة العربية الفنية"[36] .

كما كانت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملء القلوب والصدور لما لها من تأثير في النفوس والعقول " فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة... وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، ثم لم

[35] - عبد الله بن مسلم قتيبة أبو محمد: تأويل مشكل القرآن، شرح: أحمد صقر، دط، المكتبة العليمة، ص 12 .
[36] - عبد العزيز عبد المعطي عرفة: تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها، سبق ذكره، ص23 .

يسمع الناس بكلام قد أعم نفعا ولا أقصد لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل محرجا ولا أفصح معنى ولا أبين في فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيرا" [37].

كما كثرت الأحكام النقدية في هذه الفترة على ألسنة أبي بكر وعمر وعلي وعثمان

فقد أورد الجاحظ في كتابه البيان والتبيين " أن رجلا مر بأبي بكر ومعه ثوب، فقال: أتبيع الثوب؟ فقال: لا عافك الله، فقال أبو بكر رضي الله عنه: لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قل: لا وعافاك الله" ،يشير بذلك إلى موطن من مواطن الوصل بين الجملتين "وهو: كمال الانقطاع مع الإيهام، وهو يأتي إذا كان بين الجملتين كمال الانقطاع، لاختلافهما خبرا وإنشاء، الأمر الذي يقتضي الفصل بينهما، ولكن هذا الفصل يوهم خلاف المقصود، وحينئذ توصل الثانية بالأولى فتجيء واو العطف دفعا لهذا الإيهام، وإقامة لقصد المتكلم"[38].

وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أيضا يفاضل بين الشعراء، وكان يفاضل زهير بن أبي سلمى لأنه لا يعاظل في الكلام، ولا يتتبع حوشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه[39]، وكان ـ رضي الله عنه ـ يوجه الشعراء في القول، ويدلهم على مواطن الصواب، حتى قال له الحطيئة: " أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم مني بمذاهب الشعر"[40].

يتضح من كلام عمر ـ رضي الله عنه ـ أن البلاغة عنده تجنب التعقيد، وترك الغريب والوحشي، والبعد عن المبالغة والكذب.

مما سبقت الإشارة إليه نخلص إلى أن الدرس البلاغي في عصر صدر الإسلام لم يكن غاية في حد ذاته، وإنما كان وسيلة الهدف منها إثبات إعجاز القرآن الكريم من خلال أساليبه وطرائق

---

[37] ـ الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، سبق ذكره، ص 17، 18 .
[38] عبد العزيز عبد المعطي عرفة: تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها، سبق ذكره، ص، 24، 25 .
[39] ـ أبو الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح : محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، ج1، 1981م ، ص 98 .
[40] ـ المصدر نفسه ص 170 .

تعبيره، ومن هنا نشأت العديد من الدراسات التي اهتمت بالنص القرآني وكانت تهدف إلى أمرين :

ـ الدفاع عن القرآن الكريم.

ـ معرفة حقيقة إعجازه.

ثالثا – العصر الأموي:

اشتدت حركة النقد في عصر بني أمية ويرجع ذلك إلى جملة من العوامل نذكر منها :

- ظهور الانتماءات السياسية والمذهبية كالخوارج والشيعة والزبيريين والأمويين والمرجئة والقدرية والمعتزلة.
- تشجيع المباريات الشعرية المتعصبة "فإن من القبائل من كان حريصا كل الحرص على أن يمجد شاعرا له، يعتز به لدى القبائل الأخرى، فقريش كانت تتعصب لعمر بن أبي ربيعة... وكانت تغلب تتعصب للأخطل"[41] .
- اهتمام الحكام بالشعراء وتحميسهم بالعطايا والمنح "فقد فتح لهم الخلفاء والولاة والقواد والأجواد أبوبهم، فوفدوا من كل فج، وكانوا يجعلون جوائز لكل منهم بقدر شعره وبراعته فيه، فاشتد التنافس بينهم"[42] .
- رقي الحياة العقلية وازدهار العلوم وتطورها "فقد نما العقل العربي نموا واسعا، فكان طبيعيا أن ينمو النظر في بلاغة الكلام، وأن تكثر الملاحظات المتصلة بحسن البيان"[43] هذه العوامل وغيرها عملت على خلق روح جيدة في النقد وعلى تحليل أساليب الصياغة والوقوف عند خصائصها الفنية، ومن جملة تلك الآراء النقدية نذكر :

[41] ـ عبد العزيز عبد المعطي عرفة: تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها، سبق ذكره، ص 27.
[42] ـ شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، سبق ذكره، ص 16 .
[43] ـ المرجع نفسه : ص 15 .

1ـ **تفطن الشعراء إلى فكرة السياق:**

فلكل غرض شعري حقله المعجمي، وأي خروج عن ذلك يلحق إخلالا بأسلوبه، ومن ذلك "عدول المادح عن الفضائل التي تختص بالنفس: من العقل والعفة والعدل والشجاعة إلى ما يليق بأوصاف الجسم: من الحسن والبهاء والزينة، كما قال ابن قيس الرقيات في عبد الملك بن مروان:

يأتلق التاج فوق مفرقة على جبين كأنه الذهب

فغضب عبد الملك، وقال: قد قلت في مصعب:

إنما مصعب شهاب من اللـ ـه تجلت عن وجهه الظلماء.

فأعطيته المدح بكشف الغمم وجلاء الظلم وأعطيتني من المدح ما لا فخر فيه، وهو اعتدال التاج فوق جبيني الذي هو كالذهب في النضارة " [44].

كما تذكر بعض الكتب أن جرير هجا "عمر بن لجأ التيمي" حين سمعه ينشد أرجوزة يصف إبله فقال فيها:

قد وردت قبل إنا ضحائها تفرس الحيّات في خرشائها

[جرّ العجوز الثني من ردائها]

فقال له جرير: أخفقت، فقال :كيف أقول؟ قال تقول:

جرّ العروس الثني من ردائها.

وذلك لتعارض المقام مع المقال[45] .

وفي الأغاني "أن ضوء بن اللجلاج تعرض للأخطل منتقدا بعض معانيه في المديح والهجاء من ذلك مدحه عكرمة بن ربعي أحد سادة بني ربيعة فقال:

[44] - أبو هلال العسكري: الصناعتين، ط1، تحقيق: محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ص 61 .

[45] - أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج8، ط3، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار صادر ، بيروت، 2008م، ص52 .

قد كنت أحسبُه قينا و أُخبَرُهُ فاليوم طُيّر عن أثوابه الشّرر.

قال: لو أردت المبالغة في هجائه ما زدت على هذا"

فقد وظف لفظ "قينا" وهي صفة للغلمان والخدم في غير مقام الحاكم [46].

2ـ تنبه الشعراء إلى اقتران الكلمات:

وهو الذي سمي عند البلاغيين فيما بعد بمراعاة النظير . ومن ذلك ما يروى من أخبار جرير أن الدافع إلى اشتباكه مع بعض الشعراء يعود إلى تقبيحهم لبعض قوله أو تقبيحه لبعض أقوالهم ومن مثل ذلك ما يذكره صاحب كتاب الأغاني في أحد الأخبار التي ضمنها كتابه "اجتمع النصيب والكميت وذو الرمة فأنشدهما الكميت قوله:

هل أنت عن طلب الأيْفاع منقلب

حتى بلغ قوله فيها:

أم هل ظعائن بالعلياء نافعة وإن تكامل فيها الأنس والشنب[47]

فعقد نصيب واحدة، فقال له الكميت: ماذا تحصي؟ قال خطأك، باعدت في القول ما الأنس من الشنب؟ ألا قلت كما قال ذو الرمة:

لمياء في شفتيها حوّة[48] لعس[49] وفي اللّثات وفي أنيابها شنب

فانكسر الكميت وأمسك "[50].

كما عرف هذا العصر أيضا نشاط الفنون النثرية كالخطابة، فبرزت بكل أنواعها من سياسية وحجاجية ووعظية .

---

[46] ـ نفسه: ص 211 .
[47] ـ الشنب: رقة في الأسنان مع عذوبة .
[48] ـ حوة :سمرة في الشفة.
[49] ـ لعس: لون اللثة حين تكون حمراء مع بعض سواد .
[50] ـأبو فرج الأصفهاني: الأغاني، سبق ذكره، ص 227 .

فقد اشتهر "زياد" في الخطبة السياسية ففيه قال الشعبي :"ما سمعت متكلما على منبر قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفا من أن يسيء، إلا زيادا فإنه كان كلما أكثر كان أجود كلاما"[51] .

كما اشتهر أيضا صحار بن عياش العبدي، الذي اشتهر ببلاغته الأمر الذي جعل معاوية بن أبي سفيان يسأله عن البلاغة فقال :"ما تعدّون البلاغة فيكم؟ قال :الإيجاز، قال له معاوية: وما الإيجاز؟ قال صحار: أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ "[52].

رابعا: العصر العباسي:

اتسعت الملاحظات البلاغية في العصر العباسي، وازدهرت ازدهارا كبيرا، واصطبغت بصبغة علمية، وقد كان لذلك أسباب عدة منها :

ـ تطور فني النثر والشعر: أما فن النثر فقد تطور تطورا كبيرا، إذ نشأ النثر العلمي، واحتضن آثارا أجنبية كثيرة منها الأدبي ومنها السياسي، ومنها الفلسفي، ونذكر في هذا الصدد ابن المقفع، الذي ترجم عن الفارسية آثارا تاريخية وأخرى أدبية وسياسية، منها كتاب كليلة ودمنة وأجزاء من منطق أرسطو طاليس، وأما الشعراء فقد عنوا عناية شديدة بالعربية، وأخذ فريق منهم مسلكه إلى البادية كي يتزود من المنابع الأصيلة للعربية يتقدمهم بشار بن برد وأبو نواس وفريق آخر أقام الحواضر ولزم اللغويين في المساجد ينهلون من مصادر الشعر القديم لتستقيم سليقتهم العربية.

ـ ظهور كتاب الدواوين : وقد عنوا بصياغة النثر، وكانوا ينتقون من الفصحاء والبلغاء "وكانوا يأخذون أنفسهم بالتثقف ثقافة واسعة بكل ما نقل من التراث الأجنبي، خاصة الفلسفة

[51] ـ الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، سبق ذكره، ص 65. 66 .
[52] ـ الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، سبق ذكره، ص96 .

اليونانية كما كانوا يأخذون أنفسهم بثقافة عربية أصيلة، وهي ثقافة ما زالوا يكبون عليها حتى وقفوا على تصاريف الكلام ووجوه استعماله وميزوا بين جيده و رديئه [53]".

مراحل الدرس البلاغي في العصر العباسي :

يمكننا أن نقسم مراحل الدرس البلاغي في العصر العباسي إلى ثلاث مراحل هي:

أولا- مرحلة الإشارات البلاغية:

وهي مرحلة اتسمت بوضع الإرهاصات الأولى للتنظير البلاغي، من خلال وضع بعض المؤلفات التي عنيت بالدراسات الأدبية واللغوية، ويمكن أن نقسمها إلى ثلاث تصنيفات:

أ- مؤلفات اهتمت بالدراسات القرآنية:

وهي المؤلفات التي اهتمت بالنص القرآني، فدرست فيه قضايا بلاغية وأسلوبية ومن أهم تلك الكتب نذكر :

- **مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري :**

كان مبعث تأليف هذا الكتاب بلاغيا، ذلك أنه يروى "أن الفضل بن الربيع وزير الرشيد من البصرة استقدمه وجلس في مجلسه في بغداد، فحضر إلى المجلس إبراهيم بن اسماعيل الكاتب فسأل إبراهيم أبا عبيدة عن قوله تعالى: ﴿ **طَلعُها كَأَنّهُ رُؤوسُ الشَّيَاطين**﴾سورة الصافات/ 65 وإنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عرف مثله، وهذا لم يعرف، فقال أبو عبيدة :

إنما كلم الله العرب على قدر كلامهم أما سمعت قول امرئ القيس:

أَيَقتُلُني والمَشرفيُّ مُضاجعي ومسنونة زُرقٌ كأنياب أغوال.

[53]- شوقي ضيف:البلاغة تطور وتاريخ، سبق ذكره، ص21 .

وهم لم يروا الغول قط، ولما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به، فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل"[54]. وقد اتخذ أبو عبيدة "القرآن الكريم الأساس الأول لدراسته، معتمدا على فقهه باللغة العربية، وأساليبها واستعمالاتها، والنفاذ إلى خصائص التعبير فيها"[55] .

وقد تمكن أبو عبيدة في كتابه هذا من الكشف عن بعض المسائل البلاغية والتي تتلخص في القضايا الآتية :

1ـ الإيجاز :

بين أبو عبيدة أنه مذهب من مذاهب العرب في كلامها يفعلونه قصد التخفيف، ويشترط فيه علم السامع به.

2ـ الإطناب:

تطرق إليه من غير تسمية وبين بعض أغراضه، يقول :"ومن مجاز المكرر للتوكيد قال: ﴿**رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا وَالشّمسَ والقَمَرَ رَأَيتُهُم لِي سَاجِدين**﴾ يوسف /4، أعاد الرؤية وقال: ﴿**أَولَى لَكَ فَأَولَى**﴾ القيامة/ 34، أعاد اللفظ".[56]

3ـ التقديم والتأخير :

ينص على أنه مذهب من مذاهب العرب في كلامها يقول الله تعالى : ﴿ **الذي أَحسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَهُ**﴾ سورة السجدة/ 7، مجازه : أحسن خلق كل شيء، والعرب تفعل هذا يقدمون ويؤخرون.

[54] ـ عبد العزيز عرفة: تاريخ نشأة البلاغة، سبق ذكره، ص 37 .
[55] ـنفسه: ص 39 .
[56] ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى: مجاز القرآن،ج1، ط1، تحقيق: محمد فؤاد، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1954م، ص 111 .

4ـ الاستفهام :

وقف أبو عبيدة عند أسلوب الاستفهام، وتنبه إلى خروجه أحيانا عن بعض أغراضه، ففي قوله تعالى : ﴿**أَفَسِحرٌ هَذَا** ﴾ سورة الطور/15 ليس باستفهام بل هو توعد " . وفي قوله تعالى ﴿**هَل يَستَوِيانِ مَثَلا**﴾ هود 24، وليس موضع "هل" هاهنا موضع الاستفهام، ولكن موضعها هاهنا موضع الإيجاب أنه لا يستويان، وموضع تقرير وتخيير، أن هذا ليس كذلك "[57] .

5ـ أسلوب الالتفات :

من بين أهم القضايا البلاغية التي تطرق إليها أبو عبيدة، وعده من المجاز ، يقول:"ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة للشاهد ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، قال تعالى : ﴿**حَتّى إذا كُنتُم فِي الفَلكِ وَجَرَينَ بِهِم** ﴾يونس /22 ،أي بكم"[58]

وضمن هذه المؤلفات نذكر أيضا معاني القرآن للفراء.

ب ـ مؤلفات المتكلمين:

وأصحابها هم الذين كانوا يعنون بتعليم الشباب فن الخطابة والمناظرة لتأييد آرائهم ومواجهة خصومهم ومن هؤلاء نذكر : الجاحظ في كتابه البيان والتبيين الذي تعرض فيه إلى قضايا البيان والفصاحة والبلاغة، وقد ظهرت على لسانه بعض المسائل البلاغية نوجز بعضها فيما يأتي:

1 ـ الإيجاز : والإيجاز عنده نوعان :

ـ **إيجاز الحذف:** وضع له بابا في كتابه البيان والتبيين بعنوان " باب من الكلام المحذوف وذكر له أمثلة عديدة منها قوله :" ولما كتب أبو عبيدة إلى عمر جواب كتاب عمر في أمر

[57] ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى: مجاز القرآن،ج1، ط1سبق ذكره،ص 231 .
[58] ـ نفسه: ص 11 .

الطـاعـون، فقرأ عمر الكتـاب واسترجع فقال له المسلمون: مـات أبـو عبيدة ؟ قال :"لا وكـأن قد " [59].

ـ **إيجاز القصر:** تعرض إليه من غير تسمية فقد علق على قول الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ "قيمة كل امرئ ما يُحسن" بقوله :"فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية ومجزئة مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره "[60] .

2ـ الإطناب:

وقال فيه :"وجملة القول في الترداد، أنه ليس في حد ينتهي إليه ولا يؤتى على وصفه، وإنما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص، وقد رأينا الله عز وجل ردد ذكر قصة موسى وهود وهارون وشعيب وإبراهيم ولوط وعاد وثمود، وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم، وأكثرهم غبي جاهل أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب"[61] .

3ـ الفصل والوصل : عرفه الجاحظ وجعله البلاغة كلها ،قال:"قيل للفارسي ما البلاغة؟ قال:معرفة الفصل والوصل"[62] .

4ـ علم البيان:

تطرق الجاحظ إلى قضايا ذات الصلة بعلم البيان كالاستعارة والكناية:

[59] ـ الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، سبق ذكره، ص 279 .
[60] نفسه ج1: ص 83 .
[61] ـالجاحظ : البيان والتبيين، ج1، سبق ذكره، ص 105 .
[62] ـ نفسه: ص 88 .

أ- الاستعارة:

عرف الاستعارة بقوله :"تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"[63]، يمثل لذلك بقوله :"وقال الله عز وجل :"هذا نزلهم يوم الدين" والعذاب لا يكون نزلا، ولكن لما قام العذاب لهم في موضع النعيم لغيرهم سمي باسمه" [64].

ب - الكناية:

وردت الكناية عند الجاحظ بمعناها العام وهو التعبير عن المعنى تلميحا لا تصريحا، يفهم ذلك من قوله:"أو ما علمت أن الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف" [65].

ج **- البديع** : عرض الجاحظ لقضايا البديع من مثل السجع وحسن التقسيم:

- السجع: ذكره الجاحظ بكثرة في مؤلفه البيان والتبيين ومثل له بأمثلة من عيون النثر والشعر، ومن حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم -في باب أسماه "باب آخر من الأسجاع في الكلام" .يقول الجاحظ :"وصف أعرابي رجلا فقال :" صغير القدر، قصير الشبر، ضيق الصدر، لئيم النحر، عظيم الكبر، كثير الفخر"[66]

- حسن التقسيم :"وأنشدوه - يعني عمر بن الخطاب - قصيدة عَبدَة بن الطيب الطويلة التي على اللام فلما بلغ المنشد إلى قوله :

والمرء ساع لشيء ليس يدركه والعيش شح وإشفاق وتأميل

قال عمر متعجبا : والعيش شح وإشفاق وتأميل

[63] - الجاحظ: البيان والتبيين،ج1، سبق ذكره، ص 153.
[64] - نفسه:ص 153 .
[65] - نفسه: ص 117 .
[66] - نفسه : ص 284 .

يعجّبهم من حسن ما قسم وما فصل"[67] .

ج ـ طائفة اللغويين:

وهم الذين فقهوا قواعد اللغة العربية النحوية والصرفية والبلاغية، واهتموا بتعليمها بهدف المحافظة عليها من هجين الثقافات التي امتزجت مع الثقافة العربية، ومن هؤلاء نذكر المبرد في كتبه الكامل والمقتضب والبلاغة.

الدرس البلاغي عند المبرد:

1ـ مفهومه للبلاغة:

عرفها بقوله :" حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى واختيار الكلام وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاضدة شكلها، وأن يقرب بها البعيد، ويحذف منها الفضول" [68].

فالبلاغة عنده تخضع إلى مقاييس تتعلق بملائمة اللفظ للمعنى و اختيار الكلام وحسن التركيب بهدف الفهم والإفهام، ومن تلك المعايير ما تخص الشعر والنثر.

أ ـ مقاييس بلاغة الشعر:

ـ اختصار القريب:

- إلحاح المؤلف على الاختصار وجمع المعنى في أقل ما يكون من اللفظ، ومثل لذلك بقوله :"قال الأعشى :

وتبرُد برْد رداء العرو س بالصيف رقرقت فيه العبيرا

وتسخن ليلة لا يستطيـ ـع أن ينبح الكلب إلا هُريـرْا

[67] ـ الجاحظ: البيان والتبيين،ج1، سبق ذكره ، ص 241 .
[68] ـ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: البلاغة، ط2، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الريفية، القاهرة، 1985م، ص 81 .

فتُقبل هذا الكلام واستحسن: ثم قيل في عيبه : إنه أتى به في بيتين وطول به الخطاب.

وأجود منه قول طرفة :

يطرُد البرد بحرّ ساخن وعكيك القيظ إن جاء بقُر.

وقيل هذا أجمع وأخصر"[69].

2ـ الرصف اللغوي:

ويقصد به "النظم" فاللفظة عنده لا تكون مؤثرة إلا بما تحمله من دلالات خاصة يستطيع الشاعر أن يقدمها في إطار فني معبر، ومن أمثلة حسن الرصف قوله :"... فمن ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة الحسنة الوصف، الجميلة الرصف قول الحطيئة:

وذاك فتى إن تأته في صنيعة إلى ماله لا تأته بشفيع"[70].

3ـ البعد عن التكلف:

فيقول :"ومما يفضل لتخلصه من التكلف وسلامته من التزيد، وبعده عن الاستعانة قول أبي حية النميري :

رَمَتني وَسِترُ الله بيني وبينها عشية آرام الكِناس رَميم

ألا ربّ يوم لو رَمَتني رَميتُها ولكن عهدي بالنضال قديم

يرى الناس أني قد سلوتُ وإنني لمرميّ أحناءِ الضلوع سقيمِ

يقول: رمتني بطرفها وأصابتني بمحاسنها ولو كنت شابا لرميت كما رميت وفتنت كما فتنت ولكن قد تطاول عهدي بالشباب، فهذا كلام واضح"[71]

[69] - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: البلاغة، سبق ذكره، ص 82، 83 .

[70] - أبو العباس المبرد: الكامل في اللغة والأدب، دط، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المجلد1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية، دت، ص 77 .

4ـ قرب المأخذ:

يقول المبرد :"ومن حسن الشعر وما يقرب مأخذه قول مخيّس بن أرطأة الأعرجي ... :

عرضتُ نصيحتي مني ليحي فقال غششتني والنصح مرّ

وما بي أن أكون أعيبُ يحي ويحي طاهر الأثواب بَرّ

ولكن قد أتاني أن يحي يقال عليه في بَقَعاء شرّ

فقلت له تجنب كل شيء يعاب عليك إن الحر حر

وسبب وصف المبرد هذا الشعر بقرب المأخذ بقوله :"الكلام ليس فيه فضل عن معناه"[72] .

ب ـ مقاييس بلاغة النثر : تطرق المبرد في مؤلفاته إلى مقاييس بلاغة النثر من أهمها:

1ـ الإيجاز: قال المبرد :" قال قائل للربيع بن خُثيم عندما رأى من اجتهاده وإغراقه في العبادة وانهماكه في الصوم والصلاة وسائر سبل الخير :قتلت نفسك، فقال راحتها أطلب، فهذا كلام محيط بالمعنى لا فضل فيه عنه" [73].

2ـ الوضوح:

قال :"وقيل لرَوح بن قبيصة وهو واقف على باب المنصور في الشمس ، فقال ليطول وقوفي في الظل، فهذا كلام مكشوف واضح" [74].

وفي الأخير نخلص إلى أن الكتابة البلاغية في هذه المرحلة اتسمت بمجموعة من الخصائص منها :

[71] ـ المبرد: الكامل، سبق ذكره، ص 79 .
[72] ـ نفسه: ص 93 .
[73] ـ المبرد: البلاغة، سبق ذكره، ص 85 .
[74] ـ نفسه: ص 86 .

ـ عدم التبويب العلمي.

ـ اضطراب مدلولات المصطلحات وتداخلها.

ـ امتزاج القضايا البلاغية بقضايا علوم أخرى.

ـ عدم تميز علوم البلاغة الثلاثة .

2ـ مرحلة التأليف المنهجي:

ازدهرت الملاحظات البلاغية في هذه المرحلة، وذلك راجع إلى نشاط التيارات الفكرية والمذاهب الدينية والاتجاهات الأدبية، حيث برزت اتجاهات ثلاثة هي :

أ ـ مذهب اللغويين: هم الذين يخضعون الشعر والنثر إلى مقاييس عربية خالصة تتلاءم مع صور البلاغة الموروثة، وإلا أنكروا العمل إنكارا شديدا.

ب ـ مذهب المتفلسفة: هم الذين يقيسون الإبداع بمقاييس يونانية خالصة .

ج ـ مذهب المتكلمين: مذهب يتوسط المذهبين، لا يسرف في التجديد ولا في المحافظة، ففسحوا للجديد مع كثير من الاحتياط.

وتضاربت الآراء بين هذه المذاهب خاصة بين اللغويين والمتفلسفة "ودفعت الخصومة بين الطرفين إلى نشاط بلاغي خصب، إذ مضى المتفلسفة ينقلون بعض مختصرات لآراء أرسطو في الخطابة والشعر، ومضى اللغويين يذيعون في مصنفاتهم آراءهم البلاغية"[75]، ونتج عن هذا النشاط ظهور ثلاثة اتجاهات هي :

1ـ اتجاه النقاد البلاغيين:

وأبرز من يمثل هذا الاتجاه " الآمدي أبو القاسم الحسن بن بشر" في كتابه الموازنة بين الطائيين، والقاضي الجرجاني في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه"، ويمكن إجمال الموضوعات التي تناولها مؤلفا الموازنة والوساطة في هذه الأبواب الخمسة :

[75] ـ شوقي ضيف: البلاغة تاريخ وتطور، سبق ذكره، ص66 .

ـ عمود الشعر العربي أو النهج الموروث للقصيدة العربية القديمة.

ـ البديع وموقف الشعراء منه إحسانا وإساءة.

ـ الموازنات الشعرية بين معاني الشعراء أو بين الشعراء بعضهم البعض.

ـ ظاهرة السرقات الشعرية وموقف النقاد منها.

– أخطاء الشعراء في الألفاظ والمعاني والصياغة الشعرية[76].

2ـ اتجاه الأدباء :

يمثل هذا الاتجاه أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين"، وابن رشيق في كتابه "العمدة"، وابن سنان الخفاجي في كتابه "سر الفصاحة"، ومن أهم مميزات هذا الاتجاه ما يأتي:

ـ الثقافة العربية الخالصة التي تستمد مبادئها من منابع عربية خالصة :القرآن والشعر والنثر القديم.

ـ الإكثار من الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية لتوضيح الصورة الذهنية للمثال البلاغي.

ـ اتسم موقف البلاغيين العرب أنصار هذا الاتجاه بالاعتدال سواء من قضية الشعر الحديث أو من قضية البديع التي طرأت على موضوعات الشعر والنقد العربي في القرن الثالث الهجري.

ـ اتسمت طريقتهم في التأليف بسمات الوضوح والبساطة واستطاعوا أن يقفوا على حدود ومفاهيم كثيرة من المصطلحات البلاغية[77].

[76] - ينظر: سعد سليمان حمودة: دروس في البلاغة العربية، دط، دار المعرفة الجامعية، 1999م، ص 70، 71 .

[77] - ينظر: نفسه، ص 97 .

3 ـ الاتجاه العقلي (المنطقي) :

وهو الاتجاه الذي تأثر بالتيارات الفلسفية الأجنبية الوافدة عبر المؤلفات اليونانية والفارسية وعلى رأسها كتابي "الخطابة" و "الشعر" لأرسطو، وأبرز من يمثل هذا الاتجاه "قدامة بن جعفر" في كتابه " نقد الشعر" الذي "حاول بكتابه هذا أن يقيم نظرية للشعر وعيارا يتم على أساسه تمييز الجيد من الرديء وفق مقاييس منطقية ومعايير شكلية حاول أن يخضع الشعر لها"[78] .

وبرز أيضا في هذا الاتجاه "الباقلاني القاضي عبد الجبار" في كتابه إعجاز القرآن، الذي لم يزد فيه عن شرح ما قاله من سبقوه أو عاصروه من أمثال الرماني والجاحظ وابن المعتز وأبو أحمد العسكري إلا أننا "لا نبعد إذا قلنا إنه أول من هاجم في قوة نظرية إعجاز القرآن عن طريق تصوير ما فيه من وجوه البديع "[79] .

مميزات مرحلة التأليف المنهجي :

ـ الالتزام بأصول المنهج العلمي من حيث حسن التبويب، والترابط بين أجزاء المؤلَّف وفصوله.

ـ تحديد مدلول بعض المصطلحات البلاغية.

ـ عدم الفصل بين علوم البلاغة الثلاثة، وقد برز البديع من بين العلوم الثلاثة، واحتل من علماء هذه المرحلة ما كان يحتله "البيان" في المرحلة السابقة.

ـ بداية استقلال مباحث البلاغة عن العلوم الأخرى.

إن النشاط البلاغي في هذه المرحلة ـ على أهميته ـ يبدو مشتتا جزئيا غير متخصص، إلا أنه مادة خام تنتظر من يجمعها ويؤلف بين أجزائها، ويستقرئها من أجل تأسيس نظرية بلاغية متكاملة العناصر.

[78] ـ سعد سليمان حمودة: دروس في البلاغة العربية، سبق ذكره، ص 99 .
[79] ـ شوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ، سبق ذكره، ص 114 .

المرحلة الثالثة: مرحلة التنظير البلاغي :

تمثل هذه المرحلة استقرار المباحث البلاغية وتخصصها، وبرز في هذه المرحلة عبد القاهر الجرجاني بكتابيه " أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز"،الذي ضمنهما نظريتي علم المعاني وعلم البيان، فقد عرض الأولى في "دلائل الإعجاز"، والثانية في "أسرار البلاغة"، وقد تطرق الجرجاني إلى المجاز والاستعارة والكناية والتشبيه في ثنايا تفسيره لنظرية النظم، إذ يرى عبد القاهر الجرجاني أن الفصاحة ليس مردها إلى اللفظ أو المعنى، وإنما مردها إلى النظم أي إلى الأسلوب وخصائصه وكيفياته، وأن اللفظة المفردة من حيث هي لفظة لا وزن لها في فصاحة أو في بيان، فيقول :"وهل تجد أحدا يقول: "هذه اللفظة فصيحة" إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا :"لفظة متمكنة، ومقبولة وفي خلافه قلقة ونابية ومستكرهة، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها، وبالقلق والنُّبوّ عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقا للتالية في مؤداها"[80]، ويستدل على ذلك بأن إعجاز القرآن الكريم ليس في ألفاظه من حيث هي ألفاظ منطوقة بأصواتها وحروفها وحركاتها، وإنما من حيث المعاني المتصلة بتراكيبها وأساليبها.

وعلى نحو ما وضع عبد القاهر أصول علم المعاني في كتابه "دلائل الإعجاز" فإنه وضع بكتابه "أسرار البلاغة" علم البيان، فدرس الأسرار والدقائق التي تشتمل عليها الصور البيانية من استعارة وتمثيل وتشبيه ومجاز، وحدد أقسامها وفروعها، وبين سر الجمال فيها.

وقد اشتمل كتابه "أسرار البلاغة" على بعض ألوان علم البديع كالتجنيس والتطبيق والسجع والمزاوجة والتقسيم وحسن التعليل...

[80] - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، دط، تعليق: محمود محمد شاكر، ص 44، 45 .

وبذلك يكون عبد القاهر قد أثرى الدرس البلاغي العربي ونظر له بما كتب في نقد الأساليب وتحليلها واستنباط الفروق والخصائص فيما بينها، وبما عرض له من أحكام بلاغية كان لها ولا يزال الفضل في إرساء معالم هذه العلم .

مميزات مرحلة التنظير البلاغي:

ـ تبلور علم البلاغة بأصوله وقواعده العلمية الخاصة .

ـ تخصص المصطلح .

ـ ظهور مؤلفات بلاغية مستقلة عن العلوم الأخرى .

ـ الفصل بين العلوم الثلاثة .

المحاضرة الرابعة: أقسام البلاغة وأغراضها:

بعد إن استقلت العلوم البلاغية في العصر العباسي، بوّبت ضمن ثلاثة علوم هي :علم المعاني، وعلم البيان وعلم البديع.

1-علم المعاني:

علم المعاني فرع من فروع البلاغة وهو "علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يكون بليغاً فصيحاً في أفراده وتركيبه". [81]

بمعنى أن علم المعاني هو العلم الذي يعرفنا صياغة العبارة صياغة تناسب تماما المقام الذي ترد فيه، وتعبر تعبيرا دقيقا عن القصد الذي يبتغيه المتكلم .

مباحث علم المعاني:

يبحث علم المعاني في أحوال اللفظ، أو صياغته التي يكون فيها مستجيبا لمقتضى الحال ويعالجها من حيث تلبي مطلبا فنيا يقتضيه المقام، ويستدعيه الحال، ويتناول علم المعاني ثمانية مباحث هي :

- أحوال الإسناد الخبري.
- أحوال المسند إليه.
- أحوال المسند .
- أحوال متعلقات الفعل.

[81] - محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، صف الكتاب: أبو عمر آل عبد المنعم، ص 8 .

- القصر.
- الإنشاء.
- الفصل والوصل.
- الإيجاز والإطناب والمساواة[82].

2-علم البيان:

هو فرع من فروع البلاغة، "وهو علم به يعرف البليغ كيفية إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة على حسب مقتضى الحال فتلك الطرق هي: الحقيقة، والمجاز والتشبيه، والتصريح، والكناية"[83].

فالبيان ينصب على الدلالة، وهي عند المناطقة أنواع:

أ- دلالة المطابقة: وهي أن يدل اللفظ على المفهوم الذي وُضع له في اللغة من غير زيادة أو نقصان. فهي دلالة وضعيه كدلالة لفظ "البيت" على البيت.

ب- دلالة التضمن: وهي أن يدل اللفظ على مفهوم يتضمنه مدلوله الأصلي كأن يدل لفظ "**البيت**" على السقف.

ج- دلالة الالتزام: وهي أن يدل اللفظ على مفهوم يقتضيه مدلوله الأصلي عقلاً أو عرفاً، كأن يدل لفظ "**الحائط**" على السقف.

مباحث علم البيان:

يضم علم البيان عند جمهرة البلاغيين ثلاثة مباحث أساسية هي:

-مبحث التشبيه.

[82] - عيسى علي العاكوب: المفصل في البلاغة العربية، دط، منشورات جامعة حلب، 2000م، ص 64 .
[83] - نفسه : ص 29 .

- مبحث المجاز.
- مبحث الكناية .

3-علم البديع :

هو علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام. "والبديع هو المحسنات الزائدة في الكلام على المطابقة لمقتضى الحال وتلك المحسنات أما راجعة إلى معنى الكلام باشتمال المعنى على لطائف مفهومة تحسنه وتكسبه زيادة قبول في ذهن المخاطب.وأما راجعة إلى لفظ الكلام باشتماله على لطائف مسموعة تونقه وتوجب له بهجة في سمع السامع "[84].

فنون علم البديع:

يجمع معظم الدارسين أن عبد الله بن المعتز هو أول من قام بمحاولة علمية جادة في سبيل تأسيس علم البديع وتحديد مباحثه التي كانت من قبل مختلطة بمباحث علم المعاني وعلم البيان.

وتتمثل محاولته هذه في كتاب «البديع» الذي ألّفه وضمّنه ثمانية عشر فنا من فنون البديع. وقد مهدت محاولته السبيل أمام البلاغيين من بعده فأفادوا منها في تطوير هذا العلم واستكمال مباحثه وقضاياه.

فقدامة بن جعفر وهو من معاصري ابن المعتز أولى البديع اهتمامه وزاد فيه تسعة أنواع جديدة ، وأبو هلال العسكري اعتمد ما أتى به ابن المعتز وقدامة من فنون البديع وأضاف إليها حتى بلغت عنده سبعة وثلاثين نوعا، ثم جاء ابن رشيق القيرواني فزاد على من تقدموه تسعة أنواع لم يرد لها ذكر عندهم.

[84] - عيسى علي العاكوب: المفصل في البلاغة العربية، سبق ذكره، ص 42.

وهكذا أخذت فنون البديع تنمو وتتكاثر على تعاقب الأجيال والعصور حتى بلغت في القرن الثامن الهجري عند الشاعر صفي الدين الحلي مائة وخمسة وأربعين محسنا بديعيا.

وهذه المحسنات يقصد بها تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ، ورعاية وضوح الدلالة بخلوها عن التعقيد المعنوي.

والمحسنات البديعية قسمان: معنوي يرجع إلى تحسين المعنى أولا وبالذات ، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضا.

و لفظي يرجع إلى تحسين اللفظ أصلا ، وإن تبع ذلك تحسين المعنى لأن المعنى (إن) عبّر عنه بلفظ حسن استتبع ذلك زيادة في تحسين المعنى[85].

[85] - ينظر: عبد العزيز عتيق: علم البديع، دط، دار النهضة العربية، دت، ص 75 .

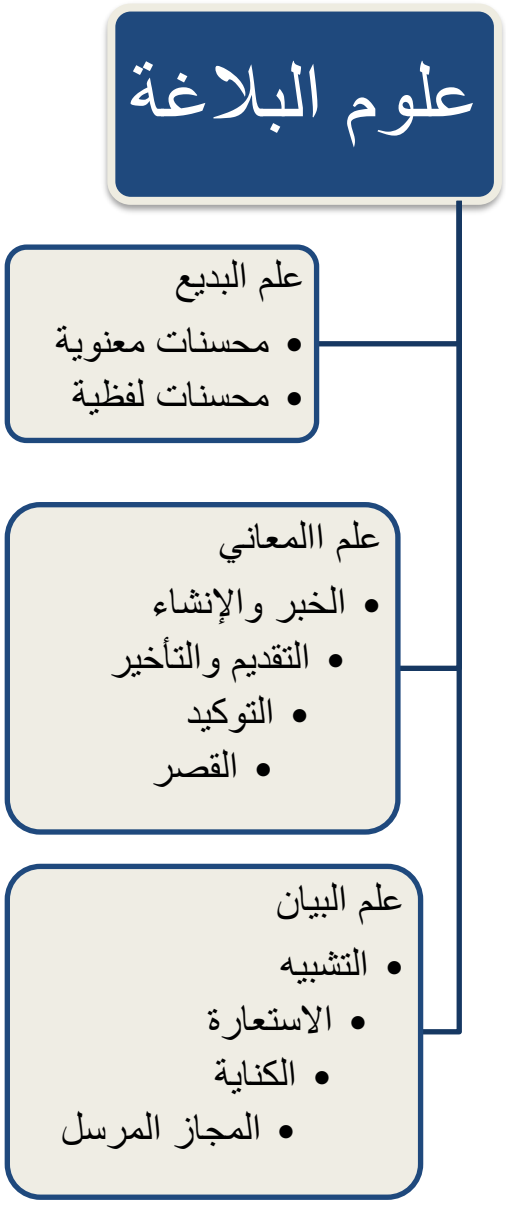

مخطط شجري يوضح أقسام البلاغة العربية

المحاضرة الخامسة :علم المعاني وأقسامه

علم المعاني من المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير ،أو ذكر وحذف ،أو تعريف وتنكير ،أو قصر أو فصل ووصل ،أو إيجاز وإطناب.

1_ مفهوم علم المعاني: هو فرع من فروع البلاغة يختص بعنصر المعاني والأفكار.

وهو"علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يكون بليغاً فصيحاً في أفراده وتركيبه" [86]

معنى ذلك أنه علم يختص بمعرفة الأصول والقواعد المعلومة التي يسير وفقها المتكلم في معرفة مقاصد الكلام، "فمنه نعرف مثلا :

_ أن العرب توجز إذا شكرت أو اعتذرت .

_ أن العرب تطنب إذا مدحت.

_ أن الجملة الاسمية تأتي لإفادة الثبات بمقتضى الحال .

فمتى وضع المتكلم تلك القواعد نصب عينيه لم يزغ عن أساليبهم ونهج تراكيبهم وجاء كلامه مطابقا لمقتضى الحال التي يورد فيها .

والمراد بـ "مقتضى الحال" الأمر الداعي للمتكلم إلى إيراد خصوصية أو أمر عارض في كلامه، وتلك الخصوصية هي مقتضى الحال.

2**_ أقسام الكلام:** ينقسم الكلام عند علماء البلاغة إلى :خبر وإنشاء.

أولا _ مفهوم الخبر: وهو "ما احتمل الصدق والكذب لذاته"[87]، فينظر إلى احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله . وللأسلوب الخبري أغراض حقيقية وأخرى مجازية:

[86] - محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، سبق ذكره، ص 8 .

[87] - أيمن أمين عبد الغني: الكافي في البلاغة، دط، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، دت، ص 229 .

أ_ الأغراض الحقيقية:

- فائدة الخبر: ويقصد بها إفادة المخاطب بحكم لم يعرفه المخاطب من قبل .

مثال: "ولد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عام الفيل وأوحي إليه في سن الأربعين، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشرا" .

- لازم الفائدة :قد يلقى الخبر لإفادة المخاطب أن المتكلم عالم بهذا الحكم .

مثال: أنت تراجع دروسك كل يوم.

في هذا المثال تجد أن المتكلم لم يقصد من هذا المثال أن يفيد السامع شيئا مما تضمنه الكلام من الأحكام، لأن ذلك معلوم لدى السامع قبل أن يعلمه المتكلم، وإنما يريد أن يبين بأنه عالم بما تضمنه الكلام، فالسامع في هذه الحال لم يستفد علما بالخبر نفسه .

ب-الأغراض المجازية التي يخرج إليها الخبر:

_ الفخر: مثل قول أبو فراس الحمداني :

ومكارمي عدد النجوم ومنزلي مأوى الكرام ومنزِل الأضياف.

_ المدح : مثل قول النابغة الذبياني:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب.

– الرثاء: مثل قول "مروان بن أبي حفصة" في رثاء "معن بن زائدة" :

كأن الشمس يوم أصيب معن من الإظلام مُلبسة جلالا.

– إظهار الشكوى: مثل قول "أبو فراس الحمداني" في مرض موته :

دبّ فيّ السقام سفلى وعلوى وأراني أموت عضوا فعضوا.

– إظهار الاسترحام والاستعطاف:

مثل قول إبراهيم بن المهدي يخاطب المأمون:

أتيت جرما شنيعا وأنت للعفو أهل

فإن عَفوتَ فمنٌّ وإن قتلت فعدل.

ويُعدّ السياق أساس تحديد هذه الأغراض .

ج-أقسام الخبر:

- الخبر الابتدائي:

وهو الكلام الذي يصاغ خاليا من أي توكيد، "ويتجرد الخبر من التوكيد حين يكون المخاطب خالي الذهن من مدلول الخبر"[88].

مثال: كتب معاوية إلى أحد عماله فقال:"لا نلين جميعا فيسرح الناس في المعصية، ولا نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك، ولكن تكون أنت للشدة والغلظة، وأكون أنا للرأفة والرحمة".

- الخبر الطلبي:

وهو الكلام الذي يصاغ معززا بمؤكد "ويؤكد بمؤكد واحد حين يكون المخاطَب شاكا في مدلول الخبر طالبا التثبت من صدقه"[89].

كقول الشاعر:

إن البناء إذا ما انهدّ جانبه لم يأمن الناس أن ينهدّ باقيه .

- الخبر الإنكاري:

يؤكد بمؤكد أو أكثر، حين يكون المخاطب منكرا[90]، نحو قوله تعالى : ﴿**إِنَّ النَّفسَ لَأَمّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾ سورة يوسف/الآية 53.

[88] - إبراهيم مصطفى وآخرون: المعاني، دط، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، دت ، ص 51 .
[89] - المرجع نفسه: ص 51.
[90] - المرجع نفسه: ص 52 .

د-مؤكدات الخبر:

للخبر مؤكدات كثيرة منها : إنّ : وهى التى تنصب الاسم وترفع الخبر ، ومنها قوله تعالى : ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ**﴾ ، وقوله : ﴿ **يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**﴾ سورة الحج/1

– أنّ : وهى التى تنصب الاسم وترفع الخبر ، كقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّما يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ**﴾سورة الأنبياء/ 108 .

– كأنّ : وفيها التشبيه المؤكد إن كانت بسيطة وإن كانت مركبة من كاف التشبيه و «أنّ» فهى متضمنة لأنّ فيها ما سبق وزيادة. كقوله تعالى :

﴿**وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا ، وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ**﴾ سورة القصص/82.

– لكنّ : لتأكيد الجمل ، وقيل : للتأكيد مع الاستدراك ، وقيل : إنّها للتوكيد دائما مثل «إنّ» ومنه قوله تعالى : ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾

سورة القصص/ 56

– لام الابتداء : وتفيد تأكيد مضمون الجملة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعاءِ﴾ سورة إبراهيم/ 39

– الفصل : وهو من مؤكدات الجملة ، وقد نصّ سيبويه على أنّه يفيد التأكيد ، وقال فى قوله تعالى : ﴿**إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مالاً وَوَلَداً**﴾ سورة الكهف /39. إنّ ضمير الفصل «أنا» وصف للياء في «ترنى» يزيد تأكيدا.

-أمّا : وهى حرف شرط وتفصيل وتوكيد ،ومنه قول الشاعر :

ولم أر كالمعروف أمّا مذاقه فحلو وأمّا وجهه فجميل.

- قد : وهى حرف تحقيق ، ومنه قوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ**﴾سورة المؤمنون/1، 2.

– السين : وهى حرف يختص بالمضارع ويخلصه للاستقبال مثل قول الشاعر :

سيعلم الجمع ممن ضمّ مجلسه بأنّنى خير من تمشى به قدم

– القسم : وهو عند النحاة جملة يؤكد بها الخبر ، وللقسم أحرف هى : الباء والواو والتاء ومنه قول ابن أبى ربيعة :

فو الله لا أدرى وإن كنت داريا بسبع رمين الجمر أم بثمان.

– نونا التوكيد : وهما الثقيلة والخفيفة، ومنه قول الشاعر :

لأستسهلنّ الصّعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

– لن : يؤتى بها لتأكيد النفي ، كقوله تعالى : ﴿**وَلَمَّا جاءَ مُوسى لِمِيقاتِنا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ : رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ، قالَ : لَنْ تَرانِي ، وَلكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ، فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي**﴾ سورة الأعراف / 143 .

ومنه قول الطرماح :

لقد زادني حبا لنفسي أنني بغيض إلى كل امرئ غير طائل

وأنّى شقي باللئام ولن ترى شـــقيّا بهم إلّا كريم الشمائـــــل

– الحروف الزائدة : وهى كثيرة ، منها الباء كما في قول معن بن أوس :

ولست بماش ما حييت لمنكر من الأمر لا يمشى إلى مثله مثلى

و «من» كقوله تعالى : ﴿**ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ**﴾ سورة الملك/3.

– حروف التنبيه : ومنها «أما» حرف استفتاح وتكثر قبل القسم ، كقول أبى صخر الهذلي :

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما النّفر .

و «ألا» الاستفتاحية كقول المعرى :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام ومجد ونائل

ثانيا– مفهوم الإنشاء: "هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه"[91].

أقسامه: الإنشاء قسمان: طلبي، وغير طلبي .

1–الإنشاء الطلبي: ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ويكون بالأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء[92].

أ–الأمر:

وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ،وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي . إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام ، ومن هذه الأغراض المجازية :

[91] - عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دط، دار النهضة العربية، دت، ص 69 .
[92] - إبراهيم مصطفى وآخرون: سبق ذكره، ص 67 .

-**الدعاء :** وهو الطلب على سبيل التضرع ، كقوله تعالى ﴿**رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي لِلْإِيمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ ، فَآمَنَّا ، رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا وَتَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ**﴾ سورة آل عمران/193.

- **الالتماس** : وهو الطلب الصادر عن المتساوين قدرا ومنزلة على سبيل التلطف كقول ابن زيدون :

دومى على العهد مادمنا محافظة فالحرّ من دان إنصافا كما دينا

-**التمني :** وهو الطلب الذي لا يرجى وقوعه ، كقول عنترة :

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمى صباحا دار عبلة واسلمي.[93]

ومن أغراض الأمر المجازية الأخرى نذكر: النصح والإرشاد، والتعجيز، والتهديد، والتسخير والاحتقار...

ب-النهى :

النهى طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام. ويتفق مع الأمر فى :

- أنّ كل واحد منهما لا بدّ فيه من اعتبار الاستعلاء.

- أنّهما يتعلقان بالغير ، فلا يمكن أن يكون الإنسان آمرا لنفسه أو ناهيا لها.

- أنّهما لا بدّ من اعتبار حال فاعلهما فى كونه مريدا لهما.

ويختلفان فى :

- أنّ كل واحد منهما مختص بصيغة تخالف الآخر.

[93] - ينظر: أحمد مطلوب: أساليب بلاغية،ط1، وكالة المطبوعات، دت، ص 110.

– أنّ الأمر دالّ على الطلب ، والنهى دالّ على المنع.

– أنّ الأمر لا بدّ فيه من إرادة مأموره ، وأنّ النهى لا بدّ فيه من كراهية منهيه.

وللنهى صيغة واحدة هى المضارع المقرون بـ «لا» الناهية الجازمة ، كقوله تعالى : ﴿**وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**﴾سورة الحجرات/12.

وقد تخرج هذه الصيغة إلى معان مجازية كثيرة منها :التوبيخ والتهديد، والتحقير، والتيئيس...[94]

ج–الاستفهام :

الاستفهام طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل ، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه إنّه طلب خبر ما ليس عندك ، أي طلب الفهم. [95]

ومن أغراضه المجازية: النفي والتعجب...

د–النداء :

النداء التصويب بالمنادى ليقبل أو هو طلب إقبال المدعو على الداعى ، وله أدوات هى :

. الهمزة : وتكون لنداء القريب .

. (أ) حرف لنداء البعيد .

. أيا : وتكون لنداء البعيد وقيل : لنداء القريب والبعيد .

. أى : لنداء البعيد.

. آى : لنداء البعيد.

. هيا : لنداء البعيد.

[94] - ينظر: أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، سبق ذكره، ص 116 .
[95] - نفسه، ص 118.

. وا : لنداء البعيد .

. يا : لنداء البعيد ، وقد ينادى به القريب توكيدا ، وقيل : هى مشتركة بين القريب والبعيد وهى أكثر أحرف النداء استعمالا [96]، كقوله تعالى : ﴿**يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**﴾ البقرة/35، وقد تحذف كما فى قوله تعالى : ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا**﴾ يوسف/ 29.

2- <u>الإنشاء غير الطلبي:</u> مـــا لا يستدعي مطلوبا، ولـــه عدة أساليب منها التعجب والقسم [97].

[96]- ينظر: أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، ص 127 .
[97] - المرجع نفسه: ص 67 .

المحاضرة السادسة: علم البيان وأقسامه

أولا- مفهومه:

عرف بأنه :"معرفة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة وبالنقصان، ليحترز بذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[98].

بمعنى الإحاطة بالصور المختلفة للتمكن من قولبة المعنى بطريقة تضمن السلامة الدلالية والبلاغية.

ثانيا- واضع علم البيان: ذكر الدارسون أن أول من دون مسائل علم البيان أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه مجاز القرآن"، وتبعه الجاحظ، ثم ابن المعتز، ثم قدامة بن جعفر، ثم أبو هلال العسكري، ثم جاء عبد القاهر الجرجاني فأحكم أساسه ونظّر له .

ثالثا - أقسام علم البيان:

1- التشبيه :

هو "بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه" [99].

أ ـ أركانه : للتشبيه أربعة أركان هي :

- المشبه والمشبه به : طرفا التشبيه
- أداة التشبيه: قد تكون حرفا(الكاف، كأن) أو اسما (مثل، مثيل، شبه، شبيه نظير...) وقد تكون فعلا (يشبه، يشابه، يماثل، يناظر، يحاكي، يضارع) .
- وجه الشبه: وهو الصفة أو الصفات التي تجمع بين الطرفين[100].

ب - أنواع التشبيه:

---

[98] ـ بدر الدين بن مالك : المصباح في المعاني والبيان والبديع، تح: حسني عبد الجليل يوسف، ط1، مكتبة الآداب 1989م، ص 103.

[99] ـ عبد العزيز عتيق: علم البيان، دط، دار النهضة العربية ،بيروت، 1985، ص 62 .

[100] ينظر: محمد أحمد قاسم: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، ، ط1 ،المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان ، 2003م، ص 145.

1. التشبيه المفصل: وهو ما ذكرت فيه أركان التشبيه الأربعة [101].

قال أبو القاسم الشابي:

خلقت طليقا كطيف النسيم وحرا كنور الضحى في سماه.

المشبه: التاء المتصلة بالفعل، المشبه به : طيف النسيم، الأداة : الكاف، وجه الشبه: الطلاقة والحرية .

2 ـ التشبيه المجمل: وهو الذي يحذف منه وجه الشبه [102]، مثل قول ابن الرومي:

فكأن لذة صوته ودبيبها سِنة تمشيّ في مفاصل نُعّس

3ـ التشبيه المؤكد: ما حذفت منه الأداة [103]، مثل قول البحتري يمدح أمير المؤمنين المتوكل على الله:

يا بن عم النبي حقا ويا أزكـ ـى قريش نفسا ودينا وعرضا

بِنتَ بالفضل والعلو فأصبحـ ـت سماء وأصبح الناس أرضا.

الممدوح: مشبه/ سماء: مشبه به/ بالفضل والعلو: وجه الشبه/ أداة التشبيه غير مذكورة.

4ـ التشبيه البليغ: وهو الذي يحذف منه الركنان الآتيان أداة التشبيه ووجه الشبه،[104] نتيجة الإغراق في ادعاء أن المشبه هو المشبه به، مثل قول المتنبي يمدح سيف الدولة:

أين أزمعت أيها ذا الهمام؟ نحن نبتُ الربا وأنت الغمام.

5ـ التشبيه التمثيلي : هو ما كان وجه الشبه فيه منتزعا من عدة أمور[105] مثل قول الشاعر:

من دونها للحادثات مصائد نهاية أهواء القلوب بعيدة

ودون الذي يبغيه فخ وصائد فنحن كطير يبتغي الحب مسرعا .

---

[101] ـ أيمن أمين عبد الغني: الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني)،دط، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، دت، ص 46.

[102] ـ ـ أيمن أمين عبد الغني: الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني)سبق ذكره، ص 47 .

[103] ـ محمد أحمد قاسم: علوم البلاغة، سبق دكره، ص 158.

[104] ـ علي الجارم ومصطفى الأمين: البلاغة الواضحة، ط1، مكتبة البشرى للطباعة والنشر، 2010م، ص 24 .

[105] ـ أيمن أمين عبد الغني: الكافي في البلاغة، سبق دكره، ص 51 .

وجه الشبه: الطمع في الوصول إلى شيء محبوب مع وجود العوائق.

6ـ التشبيه الضمني: هو ما مل يصرح فيه بطرفي التشبيه ـ المشبه والمشبه به ـ على الطريقة المعلومة بل يفهم من مضمون الكلام وسياق الحديث،[106] مثل قول أبو الطيب المتنبي :

ومَن يَهُن يسهل الهوان عليه ومَا لجُرح بميت إيلام.

يشبه الشاعر الشخص الذي يقبل الذل زلا يغادر لكرامته بمثل الميت الذي يُجرح جسده فلا يشعر بأي ألم .

ج-أغراض التشبيه:

للتشبيه أغراض عدة نذكر منها:

أوّلاً: بيانُ إمكانِ المشبَّهِ، وذلكَ حينَ يسنَدُ إليهِ أمرٌ مستغربٌ لا تزولُ غرابتُه إلَّا بذكرِ شبيهٍ لهُ، معروفٍ واضحٍ مسلَّمٍ بِهِ، ليثبتَ في ذهنِ السامعِ ويُقَرّرَ، كقولِ الله – عزَّ وجلَّ –:﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾آل عمران/ 59

ثانياً: بيانُ حالِ المشبَّهِ: حيثُ يكونُ المشبَّه مبهماً غيرَ معروفِ الصفةِ الّتي يُرادُ إثباتُها لهُ قبلَ التشبيهِ، ويكونُ المشبَّهُ بِهِ معلوماً عندَ السَّامعِ بتلكَ الصِّفةِ الَّتي يُقصَدُ اشتراكُ الطرفين فِيها فيفيدُه التشبيهُ الوصفَ، ويوضِّحُه المشبَّهُ بِهِ، كمَا فِي قولِ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "**مثلُ المؤمنين في توادّهِم وتراحُمِهِم وتعاطُفِهِم مثلُ الجَسَدِ، إذَا اشتَكَى مِنهُ عضوٌ تداعَى لهُ سائرُ الجسدِ بالسَّهر والحُمَّى**".

ثالثاً: بيانُ مقدارِ حالِ المشبَّهِ في القوةِ والضعفِ، والزيادةِ والنقصانِ، وذَلِكَ إذَا كانَ المشبَّهُ معلوماً معروفَ الصفةِ الّتي يرادُ إثباتُها لهُ معرفةً إجماليةً قبلَ التَّشبيهِ، بحيثُ يرادُ مِنْ ذَلِكَ التَّشبيهِ بيانُ مقدار نصيبِ المشبَّهِ من هذه الصفةِ، وذلك بأنْ يعمدَ المتكلِّمُ إلى بيان ما يعنيهِ

[106] - ـ أيمن أمين عبد الغني: الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني)، سبق ذكره، ص 55 .

من هذا المقدارِ، كقولِهِ – تَعَالَى –: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾سورة البقرة/74، فشبَّهَ قلوبَهم بالحجارةِ فِي الصَّلابَةِ والقَسوةِ، فَلو لمْ يرِدِ اللهُ تعالى أنْ يبيّنَ مقدارَ قساوةِ قلوبِهِم لقالَ: "**قلوبُهم قاسيةٌ**", ولكنَّه أرادَ تَبْيينَ مقدارِ هَذِهِ القَسوةِ وبيان شدتِّهَا فَجَاءَ بِهَذا التَّشبيهِ لأجلِ ذَلِكَ.

رابعاً: تقريرُ حالة وتقويةُ شأنِها، و تمكينُه في ذهن السامعِ، بإبرازِها فيما هي فيه أظهرُ، كما إذا كان ما أسنِدَ إلى المشبَّهِ يحتاجُ إلى التثبيتِ والإيضاحِ، ويأْتي هذا الغرضُ حينما يكون المشبَّهُ أمرًا معنويًّا، لأَنَّ النفسَ لا تجزم بالمعنوياتِ جزمَها بالحسيَّات، فهي في حاجةٍ إلى الإقناعِ فتأتي بمشبَّهٍ به حسيٍّ قريبِ التصوُّرِ، يزيدُ معنى المشبّهِ إيضاحاً لما في المشبَّهِ به من قوةِ الظهورِ والتمامِ[107]،كقولِهِ – تَعَالَى–: ﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ**﴾ سورة الرعد /14

2 ـ الاستعارة : ورد في معجم التعريفات أنها :"ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين" [108].

ركز هذا التعريف على العلاقة القائمة بين التشبيه والاستعارة، باعتبار الاستعارة أساسا تشبيه حذف أحد طرفيه ـ المشبه أو المشبه به ـ

أ ـ أنواع الاستعارة:

ـ الاستعارة التصريحية : وهي قول" حدف منه لفظ الشبه، وصرح بلفظ المشبه به وقد تسمى أيضا تحقيقية لأن المستعار له محققا حسا أو عقلا"[109] مثل قول المتنبي:

فل أر قبلي من مشى البحر نحوه ولا رجلا قامت تعانقه الأسد.

[107] --ينظر: شبكة المعارف الإسلامية: البلاغة الميسرة، ط1 ، مركز نون للتأليف والترجمة، ص96.
[108] ـ علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دط، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، دت، ص 129.
[109] ـ بدوي طبانة: البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1958، ص 306 .

يحتوي هذا البيت على مجازين هما "البحر" الذي يراد به الرجل الكريم، والقرينة "مشى" و"الأسد" التي يراد بها الشجعان، والقرينة "تعانقه" ، ولما كان المشبه به مصرحا به في هذا المجاز سمي استعارة تصريحية.

ـ الاستعارة المكنية: "وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه"[110]

قال المتنبي: ولما قلَّت الإبل امتطينا إلى ابن أبي سليمان الخظوبا .

شبه الخطوب بالإبل أو بالدابة، فحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو لفظ امتطينا.

ـ **الاستعارة التمثيلية**: وهي ما كان المستعار فيها تركيبا فتعرف بقولهم:"الاستعارة التمثيلية تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي" [111]، مثل قول المتنبي:

ومن بك ذا فم مرّ مريض يجد مرّا به الماء الزلالا .

فهذا التركيب مجاز قرينته حالية، وعلاقته المشابهة، المشبه هنا حال المولعين بذمه، والمشبه به حال المريض الذي يجد الماء الزلال مرا في فمه، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي قرينة حالية تفهم من سياق الكلام .

وهي استعارة شائعة في الأمثال السائرة نثرا وشعرا ومن خصائصها:

- حذف المشبه.
- حذف أداة التشبيه .

3ـ الكناية : وهي في اصطلاح علماء البيان :"لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة المعنى الأصلي"[112] .

فالمتكلم يترك اللفظ الموضوع للمعنى الذي يريد التحدث عنه ويلجأ إلى لفظ آخر موضوع لمعنى آخر تابع للمعنى الذي يريده فيعبر به عنه .

---

[110] ـ نفسه: ص 307 .

[111] ـ محمد أحمد قاسم: علوم البلاغة، مرجع سبق ذكره، ص 219 .

[112] ـ عبد الفتاح بسيوني: علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، ط4، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، دت، ص 223 .

ومثال ذلك عبارة "طويل النجاد" المراد بها طول القامة مع جواز أن يرد حقيقة طول النجاد أيضا، فالنجاد حمائل السيف، وطول النجاد يستلزم طول القامة، فإذا قيل :فلان طويل النجاد فالمراد أنه طويل القامة، فقد استعمل اللفظ في لازم معناه، مع جواز أن يراد بذلك الكلام الإخبار بأنه طويل حمائل السيف وطويل القامة، أي يراد بطويل النجاد معناه الحقيقي .

أ ـ أقسام الكناية:

ـ كناية عن صفة: وهي إخفاء الصفة وذكر الدليل عليها ـ والمراد بالصفة هنا : الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة وأمثالها لا النعت ـ

مثل قول المتنبي في وقيعة سيف الدولة ببني كلاب:

فمسّاهم وبُسُطُهم حرير وصبّحهم وبُسُطهم تراب .

فكنى بكون "بسطهم " حرير على سيادتهم وعزتهم ، وبكون "بسطهم ترابا " عن ذلهم .

ـ كناية عن موصوف : وهي إخفاء الموصوف مع ذكر الدليل عليه، مثل قول أحد الشعراء في الرثاء :

ودبت له في موطن الحلم علّة لها كالضّلال الرقش شر دبيب.

فلفظ الكناية في هذا البيت هو "موطن الحلم" ومن عادة العرب أن ينسبوا الحلم إلى الصدر.

ـ **كناية عن نسبة:** ويراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، أو بعبارة أخرى يطلب بها تخصيص الصفة بالموصوف [113]، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

اليُمن يتبع ظلَّه والمجد يمشي في ركابه.

فالشاعر في هذا البيت ينسب الطلعة الميمونة إلى ممدوحه.

[113] ـ ينظر عبد الفتاح بسيوني: علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، سبق ذكره، ص، ص 226، 230 .

المحاضرة السابعة: علم البديع وأقسامه :

أولا ـ مفهومه :

أ ـ لغة:

يمكن أن نجمل المفهوم اللغوي لعلم البديع في معنيين هما[114] :

ـ المحدث والجديد الذي أنشئ على غير مثال سابق .

ـ العجيب والغريب الذي يكون فيه حسن وطرافة .

ب ـ اصطلاحا:

ورد في معجم المصطلحات أن علم البديع هو :"تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعية من الجمال اللفظي أو المعنوي، ويسمى العلم الجامع لطرق التزيين بعلم البديع"[115].

ثانيا ـ أقسامه: المحسنات البديعية قسمان :

1 ـ محسنات معنوية : وهو قسم " يرجع إلى تحسين المعنى أولا وبالذات، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضا"[116] .

أنواعها:

أ ـ الطباق :

[114] ـ ينظر: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، مادة "بدع" .
[115] ـ مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة بيروت، لبنان، ص 254، 1984م .
[116] ـ عبد العزيز عتيق: علم البديع،دط دار النهضة العربية، دت، ص 76 .

أو المطابقة أو التضاد، وهو عند أهل البديع :"الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعر، كالجمع بين اسمين متضادين،من مثل النهار والليل والبياض والسواد، والحسن والقبح، والشجاعة والجبن، وكالجمع بين فعلين متضادين مثل: يظهر ويبطن، ويسعد ويشقي، ويعز ويذل، ويحيي ويميت، وكذلك كالجمع بين حرفين متضادين نحو قوله تعالى : ﴿**لَهَا مَا كَسَبَت وَعَلَيهَا مَا اكتَسَبَت**﴾ سورة البقرة/286 "[117] .والطباق باعتبار الإثبات والنفي على قسمين :

_ مطابقة الإيجاب: هي ما صرح فيها بإظهار الضدين، أو هي :" ما كان طرفاه مثبتين معا أو منفيين معا" [118].

ومن أمثلة طباق الإيجاب المثبت قوله تعالى : ﴿ **وَاللهُ يَقبِضُ وُيَبسُط وَإليه تُرجَعون**﴾ سورة البقرة الآية 245 .

ومن أمثلة طباق الإيجاب المنفي قوله تعالى: ﴿ **ثُمّ لا يَموتُ فيها وَلا يَحيَا**﴾ الأعلى الآية 13.

_ مطابقة السلب: وهي ما لم يصرح فيها بإظهار الضدين، أو هي ما اختلف فيها الضدان إيجابا وسلبا، "فهو الجمع بين فعلي مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي أو الجمع بين فعلين أحدهما أمر والآخر نهي"[119] نحو قوله تعالى : ﴿ **قُل هَل يَستَوي الذِين يَعلَمون وَالذِين لا يَعلَمون**﴾ الزمر 9. ومن النوع الثاني قوله تعالى : ﴿**فَلَا تَخشَوهُم وَاخشَونِ**﴾ سورة المائدة الآية 44، الأول نهي والثاني أمر .

ب_ التورية: أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان، قريب ظاهر غير مراد، وبعيد خفي هو المراد، والتورية في اصطلاح البلاغيين :"أن يطلق لفظ له معنيان: قريب وبعيد، ويراد به البعيد منهما، اعتمادا على قرينة خفية، والمراد بالقريب ما قرب من الفهم لكثرة استعمال اللفظ فيه ويسمى المورى به، أي الذي حصل به الخفاء، والمراد بالبعيد

[117] - نفسه:ص 77 .
[118] - محمد أبو ستيت الشحات: دراسات منهجية في علم البديع، ط1، مكتبة الإسكندرية ،1994م، ص 40.
[119] - المرجع نفسه: ص 42 .

ما بعُد عن الفهم لقلة استعمال اللفظ فيه، ويسمى المورى عنه، أي الذي وقع عليه الخفاء"[120] . مثل قول الشاعر :

أبيات شِعرك كالقصـــــــ ـــور ولا قصورَ بها يعوق

ومن العجائب لفظـــــــها حر ومعنـــاهـــا رقـــيق.

فكلمة "رقيق" في البيت الثاني لها معنيان، الأول: قريب متبادر وهو العبد المملوك، وسبب تبادره إلى الذهن ما سبقه من كلمة "حر"، والثاني بعيد وهو اللطيف السهل، وهو الذي يريده الشاعر .

ج_ **المقابلة:** "هي أن يؤتى بجملة أو أكثر بمعان متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب" [121]، مثل قوله تعالى : ﴿**إِنّ الأَبرَارَ لَفي نَعِيم، وَإِنّ الفُجّارَ لَفي جَحِيم**﴾ سورة الإنفطار 13/ 14 .

2 ـ محسنات لفظية : هذا القسم "يرجع إلى تحسين اللفظ أصلا، وإن تبع ذلك تحسين المعنى لأن المعنى إن عبر عنه بلفظ حسن استتبع ذلك زيادة في تحسين المعنى" [122]. ونذكر منها ما سيأتي:

أ- الجناس: أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى وهو نوعان:

ـ جناس تام: وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي :نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها مثل قوله تعالى : ﴿**وَيَومَ تَقومُ السّاعَةُ يُقسِمُ المُجرِمونَ مَا لَبِثوا غَيرَ سَاعَة**﴾ الروم 55 .

ـ جناس غير تام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الآتية :نوع الحروف أو شكلها أو عددها أو ترتيبها مثل قوله تعالى : ﴿**فَأَمّا اليَتِيمَ فَلاَ تَقهَر، وَأَمّا السّائلَ فَلا تَنهَر** ﴾ الضحى/ 9، 10.

---

[120] ـ المرجع نفسه : ص 128 .

[121] ـ أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ص 322 .

[122] -- عبد العزيز عتيق: علم البديع،سبق ذكره ، ص 76 .

ب ـ الاقتباس : هو تضمين النثر أو الشعر شيئا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو من مأثور الشعر، من غير دلالة على أنه منهما، ويجوز أن يغير في الأثر المقتبس قليلا مثل :

رحلوا فلستُ مسائلا عن دارهم أنا "باخع نفسي على آثارهم" .

ج ـ السجع: هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وأفضله ما تساوت فقره، قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ :"رحم الله عبدا قال خيرا فغنم، أو سكت فسلم" .

د ـ رد العجز على الصدر: ويسمى أيضا التصدير، قسمه عبد الله بن المعتز إلى ثلاثة أقسام:

_ ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه، مثل قول الشاعر:

تلقى إذا ما الأمر كان عرمرما في جيش رأى لا يفل عرمرم.

_ ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه، كقول الشاعر:

عميد بني سليم أقصدَته سهام الموت وهي له سهام.

_ ما يوافق آخر كلمة فيه أول كلمة في نصفه الأول كقول الشاعر:

سريع إلى ابن العم يشتم عرَضه وليس إلى داعي الندى بسريع.

هـ – الموازنة :

وهو تساوي الفاصِلتين في الوزن دون التقفية، نحو قوله تعالى: ﴿**وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ**﴾ ، تساويا في الوزن لا التقفية؛ إذ الأُولى على الفاء والثَّانية على الثَّاء، ولا عبرة بتاء التَّأنيث في القافية، وهي قسمان:

– **مماثلة:**

وهو ما اتَّفقتْ فيه جَميع ألفاظ القرينة، أو الغالب مع ألْفاظ الأخرى في الوزن دون الرَّوِي نحو:

كَالغُصْنِ في مَيَلٍ والزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالبَدْر فِي غَسَقٍ وَالظَّبْيِ فِي غَيَد.

فغصن في مقابلة زهر، وبدر في مقابلة ظبي، وميل في مقابلة ترف، وغسق في مقابلة غيد فاتَّفقت كل قرينة مع أختِها وزنًا لا رويًّا.

- **وغير مماثلة:**

وهو ما اتَّفقت فيه آخر لفظة من الأخرى فقطْ، واختلف ما عدا ذلك، نحو:

فَقَدُّهُ غُصُنٌ مِنْ فَوْقِهِ قَمَرٌ وَثَغْرُهُ دُرَرٌ قَدْ زَانَهُ شَنَبُ.

الشَّاهد قمر ودرر، واختلف ما عدا ذلك[123].

[123] - https://www.alukah.net

المحاضرة الثامنة: مدخل إلى علم الأسلوب.

أولا- منطلقات علم الأسلوب:

يجمع علماء النقد واللغة على أن نشأة علم الأسلوب قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالدرس اللساني الذي أرسى قواعده فارديناند دو سوسير (1857م- 1913م) مع مطلع القرن العشرين.

إن مجال الدراسة اللغوية عند دوسوسير يحتوي العديد من التنظيرات منها ما عُدّت منطلقات أساسية مهدت لنشأة علم الأسلوب وهي:

أ- **التمييز بين الدراسة التاريخية والدراسة التزامنية للغة:**

يرى دوسوسير أن اللغة يمكن أن تدرس بمنهجين :المنهج التاريخي (التعاقبي)، والمنهج الوصفي (التزامني)، فالأول يتتبع الظواهر اللغوية وما يحدث لها من تغيير في مراحل زمنية متعاقبة، والثاني يدرس اللغة في مرحلة معينة من الزمان بوصف حالتها الراهنة ولكل دراسة وظائفها المحددة والخاصة بها "فالدراسة التزامنية مثلا لا تسأل إلا عن (ماذا؟ وكيف؟) في بنية اللغة، فتركز على سؤالين مهمين هما (مما تتكوّن؟ وكيف تتكوّن ؟) في الوقت الذي يلاحظ فيه أن السؤال عن (لماذا؟ ومن أين؟) من مسؤولية الدراسة التطورية"[124]، من هنا فإن علم اللغة يتبنى المنهج الآني الاستقرائي، وينظر إلى اللغة على أنها كائن يخضع للتطورات، لذلك لا بد من تحديد زمن معين ولغة معينة وجعلها موضوع الدراسة.

[124] - فيلي ساندرس: نحو نظرية أسلوبية لسانية، تر: خالد محمد جمعة، المطبعة العلمية ، دمشق، ط 1، 2003م، ص 101 .

ب-**التمييز بين اللغة والكلام:**

اقترح دوسوسير عددا من التقسيمات لدراسة اللغة دراسة وصفية، تقوم على التمييز بين ثنائيات ضدية تقابل بين :(التزامن والتعاقب)، (الدال والمدلول)، (اللغة والكلام)، "ولعل أهم مبدأ أصولي يستند إليه تحديد حقل الأسلوبية يرتكز أساسا على ثنائية تكاملية... تتمثل في تفكيك مفهوم الظاهرة اللسانية إلى واقعين أو لنقل ظاهرتين وجوديتين :ظاهرة اللغة، وظاهرة العبارة (أو الكلام)" [125].

وقد عدّ دوسوسير اللغة نظام علامات فقال: "اللغة نظام من الإشارات"[126]، وأن الفصل بينها وبين الكلام يعني "الفصل بين ما هو اجتماعي وما هو فردي، الفصل بين ما هو جوهري وما هو ثانوي وعرضي إلى درجة ما" [127].

من هنا يمكن أن نجمل أهم الفروق بين اللغة والكلام فيما يأتي:

1-اللغة واقعة اجتماعية: أي أنها "مجموعة من العلامات المختزنة في حقل الجماعة، هذه العلامات والقواعد المختزنة في الذهن لا نطق لها، لأن محورها جمعي، وهي تشبه -كما يرى دوسوسير- القاموس الذي توجد فيه الكلمات صامتة غير منطوقة، صالحة للنطق والاستعمال"[128]، وهي بهذا يمكن أن تدرس دراسة علمية، وذلك لإمكانية إخضاع ظواهرها للتصنيفات العلمية، والوصول إلى العلاقات الداخلية لبنيتها أو شفرتها.

2-الكلام إنجاز فردي للغة: بمعنى أنه "نشاط إنساني واقعي، وهو تحقيق فعلي حي لتلك الصورة المختزنة في ذهن الجماعة"[129] .

ثانيا- مجال علم الأسلوب:

ومن خلال هذه الفروق بن اللغة والكلام يمكننا تحديد مجال علم الأسلوب، وذلك باعتبار الكلام ظاهرة متشعبة متنافرة، ومجاله أرحب وأوسع من مجال اللغة، ولذلك لا يمكن

---

[125] - عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ط3، الدار العربية للكتاب، دت، ص 38

[126] - فرديناند دو سوسير: علم اللغة العام، دط، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: يوسف المصلي، دار الآفـــاق العربية، الأعظمية، بغداد، دت، ص 34 .

[127] - المصدر نفسه : ص 32 .

[128] - أحمد كشك: اللغة و الكلام،دط، أبحاث في التداخل والتقارب، مكتبة النهضة المصرية ، دت، ص 120 .

[129] - المرجع نفسه : ص 10 .

إخضاعه للدراسة العلمية المنهجية، وبذلك تبقى اللغة الموضوع الوحيد للسانيات، و"من هذا التمييز بين اللغة كظاهرة مجردة، توجد ضمنا في كل خطاب بشري، ولا توجد أبدا هيكلا ماديا ملموسا، والكلام باعتباره الظاهرة المجسدة للغة... يمكن تحديد المجال الذي تعمل فيه الأسلوبية، إذ أنها لا يمكن أن تتصل إلا بالكلام، وهو الحيز المادي الملموس الذي يأخذ أشكالا مختلفة قد تكون عبارة، أو خطابا أو رسالة، أو قصيدة شعر"[130] .

ولا شك في أن كل مبدع يصل إلى مرحلة النضج، يستطيع أن ينتج تركيبات لا حصر لها، فاللغة بوسعها أن تستعين بعدد محدود من الوسائل لتنتج عددا من الاستعمالات، وهذه الاستعمالات هي التي تركز عليها الأسلوبية في مظهرها الحسي، باعتبار أن الكلام الأدبي مجموعة من الجمل لها وحدتها المميزة، ولها قواعدها، ونحوها، ودلالتها و الأسلوبيون يتعاملون مع الجملة كتعاملهم مع النص بأكمله، لأنها قابلة للوصف على مستوياتها المتعددة من صوتية، وتركيبية، ودلالية:

- **المستوى الصوتي:** يقوم أساسا على إدراك الخصائص الصوتية في اللغة العادية، ثم ينتقل من ذلك إلى تلك التي تنحرف عن النمط العادي لاستخلاص سماتها التي تؤثر بشكل واضح في الأسلوب.

- **المستوى التركيبي:** أما بالنسبة للتركيب فإن الأسلوبية ترى فيه عنصرا ذا حساسية في تحديد الخصائص التي تربطه بمبدع معين، لأنها تعطيه من الملامح ما يميزه عن غيره من المبدعين، وذلك يتحقق من خلال رصد حجم الجملة طولا وقصرا، وترتيب أجزائها، ومن خلال رصد الأدوات المساعدة التي يستعين بها المبدع كادوات العطف والجر، وأدوات الشرط والاستثناء، والنفي والاستفهام ...

- **المستوى الدلالي:** إن الأسلوبية في هذا المستوى تتجه إلى الألفاظ باعتبارها ممثلة

[130] - محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ط1، مكتبة ناشرون، لبنان، 1994م، ص 204 .

لجوهر المعنى، فاختيار المبدع لألفاظه يتم في ضوء تجاوز ألفاظ بعينها تستدعيها هذه المجاورة، أو تستدعيها طبيعة الفكرة.

ويأخذ الاستعمال الاستعاري أهمية خاصة في هذا المجال بما يحويه من قدرة ابتكارية على تجاوز المواضعات المألوفة، إلى خلق مواضعات جديدة، دون اللجوء إلى توارث صور مجازية ربما تكون قد فقدت مجازيتها أو ماتت، فتصبح عديمة الفائدة أسلوبيا[131].

[131] - ينظر: محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، سبق ذكره، ص 206، 207 .

المحاضرة التاسعة : مفهوم علم الأسلوب :

إن الأسلوبية علم يصعب تقعيده أو تقنينه ومن ثمة تعريفه، وسبب ذلك يكمن في تعدد اتجهاتها و تنوع مجالاتها "فهي دراسة للغة، وهي أيضا دراسة للكائن المتحول باللغة، وهي كذلك دراسة للعمل الإبداعي، ودراسة لعملها الذاتي المبدع للعمل الإبداعي"[132].

ومع هذا فإن معظم الدارسين يتفقون على أن الأسلوبية في أبسط معانيها هي :الدراسة العلمية للأسلوب تهدف إلى الكشف عن خصائصه الجمالية، وبنياته الفنية، تتكئ على جملة من الأدوات الإجرائية لرصد الظواهر الأسلوبية التي تؤدي إلى مقصدية ذات حمولة جمالية.

ومن جملة التعريفات التي حاولت أن تضبط مفهوم الأسلوبية ما أتى به عبد السلام المسدي في قوله:"فسواء انطلقنا من الدال اللاتيني وما تولد عنه في مختلف اللغات الفرعية أو انطلقنا من المصطلح الذي استقر ترجمة له في العربية وقفنا على دال مركب جذره "أسلوب" Style ولاحقته "يةique ،وخصائص الأصل تقابل انطلاقا أ بعاد اللاحقة، فالأسلوب –وسنعود إليه – ذو مدلول إنساني ذاتي، وبالتالي نسبي، واللاحقة تختص –فيما تختص به– بالبعد العلماني العقلي، وبالتالي الموضوعي، ويمكن في كلتا الحالتين تفكيك الدال الاصطلاحي إلى مدلوليه بما يطابق عبارة، علم الأسلوب Science du style لذلك تعرّف الأسلوبية بداهة بالبحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب"[133] .

[132] - بيير جيرو: الأسلوبية، ط2،ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، دت، ص 6 .
[133] - عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، سبق ذكره، ص 34 .

وهذا يعني أن الأسلوب موضوع الأسلوبية، فتعمد إلى دراسة خصائصه الإنسانية (ذاتية) دراسة علمية، بهدف كشف مميزاته الجمالية بطريقة موضوعية .

ويعد تعريف عبد السلام المسدي للأسلوبية ذو بعد لساني ، إلا أن هناك من يعرفها انطلاقا من بعدها الجمالي، على غرار جاكوبسون الذي عرف الأسلوبية "بأنها بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولا، وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا"[134].

وهناك من انطلق منطلقا مزدوجا لتحديد مفهوم الأسلوبية، يمتزج فيه المقياس اللساني بالبعد الأدبي الفني "فإذا كانت عملية الإخبار علة الحدث اللساني أساسا فإن غائية الحدث الأدبي تكمن في تجاوز الإبلاغ إلى الإثارة، وتأتي الأسلوبية في هذا المقام لتتحدد بدراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية"[135]

ويرجع سبب تعدد تعريفات الأسلوبية إلى تعدد وجهات نظر علماء الأسلوب، التي أفرزت اتجاهات أسلوبية كثيرة نذكر منها :

1-<u>الأسلوبية التعبيرية</u>:

مؤسسها شارل بالي "الذي اتجه باللسانيات التطبيقية إلى المنحى الأسلوبي من خلال نظريته القائمة على دراسة المحتوى العاطفي، ودراسة القيم التعبيرية التي ينطوي عليها الكلام، مخالفا بذلك الدراسات البلاغية القديمة القائمة على الأنماط والصور التقليدية المتداولة"[136]

يركز هذا المفهوم على الطابع العاطفي للغة، وارتباطه بفكرتي القيمة والتوصيل، إذ أن اللغة تتكون من نظام من أدوات التعبير، التي تستخرج الجانب الفكري من كياننا، كما أن اللغة لا

[134] - عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، سبق ذكره، ص 37 .
[135] - المرجع نفسه: ص 35، 36 .
[136] - يوسف أبو العدوس: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، سبق ذكره، ص92.

تعبر عن أفكارنا فحسب، بل تعبر أساسا عن عواطفه، وعندما تظهر هذه الوقائع التعبيرية فإن البحث الأسلوبي هو الكفيل بدراسة ملامحها.

وقد اهتم بالي باللغة المشتركة لهذا وضع اللغة المنطوقة – وهي مادة دراسته– في مقابل الاستخدامات العفوية الواعية والموجهة نحو الجمال، بالإضافة إلى تركيز اهتمامه على المضمون الشعوري لأفعال التعبير، والعلاقة بين الشكل والمعنى، والبحث عن "علاقة التفكير بالتعبير، وإبراز الجهد الذي يبذله المتكلم ليوفق بين رغبته في القول، وما يستطيع قوله"[137].

ومن خصائص الأسلوبية التعبيرية:

- أسلوبية التعبير تدرس علاقات الشكل مع التفكير.
- أسلوبية التعبير لا تخرج عن إطار اللغة أو عن الحدث اللساني.
- أسلوبية التعبير أسلوبية للأثر، إذ أنها تتعلق بعلم الدلالة، أو دراسة المعنى.
- تعتد أسلوبية التعبير بالأبنية اللغوية ووظائفها داخل النظام اللغوي[138].

2-الأسلوبية النفسية:

تأسس هذا الاتجاه على يد الألماني "ليو سبيتزر"، وهو اتجاه يهتم بالممارسة الأدبية والنقدية "يدرس وقائع الكلام، أي الوقائع اللغوية التي تبرز السمات اللسانية الأصلية (الأسلوب) لمخاطب أو مبدع، أو خطاب، أو كتّاب معينين"[139].

وقد وضع "ليو سبيتزر" لمنهجه عدة مبادئ منها :

1-يجب أن ينطلق تحليل النص ونقده من ذاته، وليس من أفكار خارجة عنه.

2-النص الأدبي نوع من النظام الشمسي الكاشف عن فكر المخاطب، لأن مبدأ

[137] نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 60 .
[138] - منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، مركز الإنماء الحضاري، 2002م، ص 42 .
[139] - رابح بوحوش: الأسلوبيات وتحليل الخطاب، دط، مديرية النشر جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، دت، ص 76 .

التلاحم هو الجذر الروحي لكل تفاصيل العمل الأدبي التي لا تعلل، ولا تفسر إلا به .

3-يجب أن ينطلق الولوج إلى مركز النص من الجزء- والجزء عندهم هو الكلام عند اللسانيين، والخطاب عند النقاد- لأن العمل الكلي يكون الجزء فيه معللا ومندمجا، وهذا المسلك منهج يسهل الوصول إلى مركز النص وثقله الدلالي بعد الجزء أو الخطاب إن رُصد بعناية يكشف خبايا وسر الفعل الأدبي.

4-تحليل النص ونقده ضرب من التفكيك والتركيب، أي: إعادة البناء والتشكل، لأن الأجزاء في النص نظام شمسي ينتمي إلى نظام أكثر اتساعا منه – وهذا إشارة إلى أن الجزء أو الخطاب أجزاء من النص- فمجموع الأجزاء أو الخطابات تشكل صورة كاملة للديوان، أو القصة، أو الرواية، وهذا الأعمال الأدبية بدورها تكون نموذجا لأعمال أدبية في بلد واحد، أو في عصر واحد، أو في عصور، لأن فكر المبدع يعكس فكر أمته، أو عصره، أو بلده.

5- السمات البارزة في النص -عندهم- في صورتها النهائية عدول شخصي، لأنه فعل أسلوبي فردي، أو طريقة خاصة في الكلام تختلف عن الكلام العادي، وهنا يخص التقاطع بين اللسانيات والأسلوبيات، ذلك أن ما هو كلام عند اللسانيات هو السمات البارزة عن الأسلوبيين، وهو الخطاب عند النقاد، لتقاطعهم في صفة الفوضى و الحرية و التمرد على السلطة بالخروج على قوانينها ونظامها.

6-وسيلتهم النقدية المفضلة هي اصطناع الحدس لتحليل النص الأدبي، وهو نوع من الفرقان الذهني يتشكل نتيجة التجربة والدربة، وتعد الملاحظة الحدسية الأولى "مفتاح التشغيل" العقلي الذي يضعنا على الطريق الصحيح للولوج إلى عالم النص.[140]

[140] - ينظر : رابح بوحوش،الأسلوبيات وتحليل الخطاب، سبق ذكره، ص 77 .

3-الأسلوبية البنيوية:

هي امتداد متطور لمذهب "بالي" في الأسلوبية الوصفية، ويرى أصحاب هذا الاتجاه "ريفاتير، وجاكبسون"،"أن مصدر الأسلوب يكمن في اللغة ووظائفها، إنه لا يمكن تعريفه خارج الرسالة"[141]، و أن اللغة نظام ، أي مجموعة من الإشارات تكمن قيمتها في العلاقات المتبادلة فيما بينها، وعلى هذا الأساس لا يمكن لأي عنصر من العناصر الانفصال عن بقية العناصر الأخرى، ذلك في إطار بنية لغوية متكاملة تحكمها علاقات مختلفة تعطي القيمة الأسلوبية داخل النظام.

ومن هنا يكون التحليل الأسلوبي خاضعا لتفسير العمل الفني باعتباره كائنا عضويا شعوريا فهي"تُعنى في تحليل النص الأدبي بعلاقات التكامل والتناقض بين الوحدات اللغوية المكونة للنص، وبالدلالات والإيحاءات التي تنمو بشكل متناغم"[142].

وينطلق التحليل الأسلوبي البنيوي من وحدات بنيوية ذات مردود أسلوبي، وقد أعطى "جاكبسون" نماذج عنها مسلطا الضوء على الهيكل الذي يؤطر الخطاب ووحداته التكوينية.

ولقد أوضح "ميشال ريفاتير" مراحل القراءة الأسلوبية في النصوص، وهي :

-مرحلة الوصف: ويسميها "ريفاتير" مرحلة اكتشاف الظواهر وتعيينها، وتسمح للقارئ بإدراك وجوه الاختلاف بين بنية النص والبنية النموذج القائمة في حسه اللغوي مقام المرجع، فيدرك التجاوزات والمجازات وصنوف الصياغة .

[141] - بيير جيرو : الأسلوبية،سبق ذكره، ص 117 .
[142] - نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب،ج1، سبق ذكره، ص 82 .

– مرحلة التأويل والتعبير: وعندها يتمكن القارئ من الغوص في النص والانسياق في أعطافه، وفكه على نحو تترابط فيه الأمور وتتداعى ويفعّل بعضها بعضا [143].

الأسلوبية الإحصائية:

يعنى هذا الاتجاه بالكم وإحصاء الظواهر اللغوية في النص الأدبي، ويستنبط أحكامه بناء على نتائج هذا الإحصاء، وغالبا ما يقوم تحليل الأسلوب في هذا الاتجاه على أساس محدد، يقول "فوكس" Fucks :"نقيّم الأسلوب كما يأتي في نطاق المجال الرياضي، بتحديده من خلال مجموع المعطيات التي يمكن حصرها كميا في التركيب الشكلي للنص"[144].

وحينما يتم تحديد الأسلوب بأنه تردد الوحدات اللغوية التي يمكن إدراكها شكليا في النص فهذا يعني أنه يمكن إحصاء هذه الوحدات اللغوية وإخضاعها للعمليات الرياضية، إن النسبة بين عدد ورود الكلمة في نص ما والمجموع الكلي يمكن تمثيلها عدديا، وهذا يسهل مقارنتها بالنصوص الأخرى[145].

ويلجأ الباحث الأسلوبي إلى اعتماد التشخيص الأسلوبي الإحصائي "حين يريد الوصول إلى مؤشرات موضوعية في فحص لغة النصوص الأدبية، وتشخيص أساليب المنشئين، وهذه المؤشرات والمقاييس الموضوعية –في ظننا– وسيلة منهجية يمكن بها استنفاد الدرس الأدبي من ضباب العموم والتهويم، وتخليصه من سلطان الحكام الذاتية التي تفتقد السند والدليل وتستعصى على التحليل، والتعليل، وهذه الوسائل المنضبطة في الدرس العلمي ليست بديلا للذوق، وإن كانت محاولة لعقلنة الذوق، كذلك فإن الفحص اللغوي الأسلوبي للنص ليس بديلا "ألسنيا" –إن صح التعبير– للنقد الأدبي، بل هو نوع من المقاربة المنهجية للغة والأدب، ذو نفع

[143] - ينظر: نفسه، ص 83، 84 .
[144] - نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، سبق ذكره، ص91 .
[145] - ينظر نفسه: ص 97 .

مزدوج لعلوم اللسان وعلوم النقد، وهو في الوقت نفسه مدخل منهجي لا يمكن لنقاد الأدب الخُلّص أن يشيحوا بوجوههم عنه، وإلا فقدت دراساتهم جانبا كبيرا من منهجيتها وموضوعيتها وجدواها[146].

ومن بين الباحثين الذين تبنوا المنهج الإحصائي في دراساتهم سيد البحراوي، سعد مصلوح محمد الهادي الطرابلسي .

ومن هذه المفاهيم التي أوردناها عن الأسلوبية، نخلص إلى أنها علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب، فهي تدرس احتمالات الممارسات اللغوية مميّزة بين تلك التي تحمل أثرا فنيا وجماليا عن غيرها،أو هي مجال من مجالات البحث المعاصر التي تدرس النصوص الأدبية انطلاقا من تفكيك ظواهرها اللغوية والبلاغية باستقراء منهج علمي يهدف إلى إبراز السمات الجمالية بطريقة موضوعية.

[146] - ينظر: سعد مصلوح: في التشخيص الأسلوبي الإحصائي للاستعارة، تطبيق على أشعار البارودي، وشوقي، والشابي، مجلة عالم الفكر، نوفمبر 1984م، ص 234 .

المحاضرة العاشرة:علم الأسلوب النشأة والتطور:

يجمع معظم الدارسين على أن علم الأسلوب ارتبط ارتباطا وثيقا بالدراسات اللغوية التي قام بها دوسوسير، واستثمر مقولة التفريق بين اللغة والكلام، جاعلا من الكلام أداة له، إذ ركز على طريقة ممارسة اللغة بتلمسه الفروق الفردية، وتجلياتها المتفاوتة من متكلم إلى آخر، ومن هذا المنطلق "فإن الأسلوبية تركز بشكل كثيف ومباشر على عملية الإبلاغ والإفهام، بالإضافة إلى انتقالها الأساسي والجوهري إلى التأثير في المتلقي(...) ولذلك فإن الأسلوبية تسعى بكل تميز لدراسة الكلام على أنه نشاط ذاتي في استعمال اللغة"[147] .

إلا أن التباين الذي يمكن أن نشير إليه يكمن في تصورات الدارسين عن التحولات و التطورات التي مر بها علم الأسلوب، فنظروا إليها من زوايا مختلفة إلا أننا نحاول أن نجملها فيما سيأتي :

تشير معظم الآراء إلى أن علم الأسلوب تأسس على يد شارل بالي Chales bally (1865م- 1947م) الذي أوضح معالم هذا العلم في كتابيه (تحولات في الأسلوبية الفرنسية) الذي أصدره سنة 1902م، والثاني (المجمل في الأسلوبية) سنة 1905 م، وقد اعتمد كثيرا على آراء أستاذه دو سوسير خاصة نظرته إلى اللغة، ودراستها كبناء متكامل في فترة زمنية محددة، قبل دراسة التطورات الجزئية التي تطرأ على نطق حرف من الحروف مثلا فتؤدي إلى التغيير في بعض القواعد أو بعض المفردات، إلا أن شارل بالي لم يكتف بالدراسة الأفقية للغة وتجاوزها إلى التأثيرات الوجدانية التي تحدثها الوقائع التعبيرية، باعتبار أن هذه الوقائع خاضعة لمواقف مختلفة ومتباينة باختلاف وتباين فئات

[147] - موسى ربابعة : الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ط1، دار الكندي، إربد، الأردن، 2003م، ص 9 .

المتكلمين "فاللغة عند بالي تتكون من نظام لأدوات التعبير التي تتكفل بإبراز الجانب الفكري من الإنسان، وليست مهمة اللغة مقصورة على الناحية الفكرية وحدها، بل إنها تعمل أيضا على نقل الإحساس والعاطفة"[148] ، وبهذا فإن الدرس الأسلوبي عند بالي يحدده أمران هما :

1- يتكلم فيه عن علاقة اللغة بالتفكير.

2- يضع فيه بالي الأسلوبية خارج الدرس اللساني للنص الأدبي .

إن هذه الالتفاتة من بالي "لم تتجاوز حدود اللغة العامة والشائعة، ولم ينقلها إلى ميدان دراسة الأسلوب، وبذلك ظلت أسلوبية بالي هي أسلوبية اللغة، وليست أسلوبية الأدب"[149] بمعنى أن بالي قد جعل الجانب التأثيري ظاهرة قائمة في اللغة وليست في الاستعمال اللغوي، وبذلك ابتعدت أسلوبية بالي عن دراسة النص الأدبي بمعايير أسلوبية ولم يدخل بالي الأدب في دراسته، ورأى أن علم الأسلوب يجب أن لا يبحث في كيفية استخدام الأدباء لتلك الدلالات المضافة (أو التأثيرات الوجدانية)... والدارس الأسلوبي –إذن في رأي بالي– دارس لغوي محض يدرس الخامات اللغوية من حيث دلالاتها الإضافية، مهما تكن طبيعة النص الذي يدرسه من الأدب كان أو من العلم، أو من الإدارة، أو من شؤون الحياة العادية.

وظل الجانب الأدبي للنصوص مبعدا من الدراسة الأسلوبية إلى أن جاء ليو سبيتزر leo spitzer (1887م – 1960م) الذي رأى بأنه يمكن الإفادة من علم الأسلوب في دراسة النصوص الأدبية، فشرع للتمهيد إلى أسلوبية أدبية منذ سنة 1911م.

انطلق ليو سبيتزر من فرضية مؤداها "أن هناك علاقة متبادلة بين الخواص الأسلوبية للنص والجو النفسي لمؤلفه"، وقد عُرِف هذا الاتجاه بالنقد الأسلوبي كما عرف أيضا

[148] - محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، سبق ذكره، ص 175 .
[149] - موسى ربابعة: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، سبق ذكره، ص 11 .

بالأسلوبية الأدبية "وقد تكونت في جو آخر، وتحت تأثيرات مختلفة، فهي ترجع في أصلها إلى علم اللغة المثالي عند كارل فوسلر Karl vossler، وبشكل غير مباشر في التفكير الجمالي لدى بنيديتو كروتشيهBenedetto croce ، وفي كتاب "الجمال كعلم للتعبير وعلم اللغة العام".

تلك الرؤية التي لا تفرق بين اللغة والشعر، وجعلهما متطابقين مما يستلزم دراسة الشعر دراسة اللغة "ومن ثم فاللغة عنده [كارل فوسلر] فن وكل فرد يعبر عن انطباع روحي إنما يخلق بذاته وينتج صيغا لغوية، وكل مبدع من مبدعاته اللغوية له قيمته الفنية التي يمكن أن تكون قيمة تكاملية حقيقية وتامة، أو شظية من قيمة قد يشكل عملا ممتازا أو يكون هراء"[150].

كما أفادت هذه المدرسة أيضا من آراء برغسون وفرويد خاصة في "الاعتناء بالجوانب السيكولوجية للمبدع، وهو جانب مهم جدا في دراسة العالم النفسي للمبدع، وقد تجلى هذا الأمر في بناء صلة وثيقة بين علم اللغة والأدب من خلال العناصر النفسية التي تتمثل انعكاساتها في عمل الأديب"[151].

ومن الوجهة الأولى المثالية والوجهة الثانية النفسية توصل سبيتزر إلى نتيجتين منهجيتين هامتين هما:

1-التحليل الأسلوبي يتخذ العمل الأدبي نقطة انطلاق، بحيث يكشف عن الطابع الجوهري للعمل متميزا بذلك -إلى أبعد الحدود- عن التاريخ الأدبي العام والوضعي، فهذا النوع من التحليل يختار -كنقطة بدأ- إحدى التفصيلات اللغوية أيا كانت ومهما كانت خارجية أو سطحية، بشرط أن تتداعى إليها -في شكل مترابط- تفصيلات أخرى تسمح للناقد بحركة

[150] - محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، سبق ذكره، ص 181 .
[151] - موسى ربابعة: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، سبق ذكره، ص 11، 12 .

نحو مركز العمل الأدبي ساعيا إلى بلوغ تشكيله الداخلي، وتبدأ هذه الحركة الاستقصائية بنقطة بدأ حدسية.

2-إن توجه هذه الأسلوبية توجها سيكولوجيا يتقصى معرفة الخبرة الخاصة واهتزازات الإحساس، واستعداد النفس التي تنعكس في الكلمات وفي الصور وفي الأبنية النحوية التركيبية لأي نص أدبي[152].

إلا أن أسلوبية ليو سبيتزر كثيرا ما نعتت بالانطباعية "فكل قواعده العلمية منها والنظرية قد أغرقت في ذاتية التحليل، وقالت بنسبية التعليل وكفرت بعلمانية البحث الأسلوبي"[153] .

وفي ظل هذا الجدل بين التيار الوضعي بزعامة "شارل بالي" والتيار المثالي بريادة "ليوسبيتزر"، بزغت اجتهادات ماروزو منذ سنة 1941م وحولت إخراج الدراسات الأسلوبية من أزمة التخبط بين موضوعية اللسانيات ونسبية الاستقراءات "فنادى بحق الأسلوبية في شرعية الوجود ضمن أفنان الشجرة اللسانية العامة"[154] .

وفي سنة 1960م حاول "رومان جاكبسون" استثمار التيارين الوضعي والمثالي، والتوفيق بينهما، فقام بمصاهرة بين اللسانيات والصناعة الأدبية، وبشر حينها بسلامة بناء الجسر بين إقليمين هما "اللغة والأدب".

وكان نتيجة هذا المخاض الذي عرفته نشأة هذا العلم أن تبلور تيارا سنة 1969م بقيادة الألماني "ستيفان أولمان" Stephen ullmann يبارك استقرار الأسلوبية علما لسانيا نقديا.

[152] - ينظر: سليمان العطار (الأسلوبية علم وتاريخ) سبق ذكره، ص 136.
[153] - عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، سبق ذكره، ص 21 .
[154] نفسه: ص 22 .

المحاضرة الحادية عشر: الأسلوب في تراث العلماء العرب

لقد قدم العلماء العرب دراسات قيمة في مجال ماهية الأسلوب والوقوف عند حدوده النظرية والإجرائية، ويمكن رصد اتجاهين من جهود العلماء العرب القدماء في تحديدهم لمفهوم الأسلوب:

أولا ـ الاتجاه المعجمي: وهو الاتجاه الذي تطرق إلى المفهوم اللغوي للأسلوب ومن هؤلاء نذكر:

– ورد في لسان العرب لابن منظور: " ويقال للسطر من النخيل: أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، قال: والأسلوب الطريق والوجه، والمذهب، يقال :أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب، والأسلوب : الطريق تأخذ فيه، والأسلوب (بالضم): الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه"[155].

وجاء في تاج العروس أن الأسلوب (بالضم) :"كل طريق ممتد...والأسلوب الوجه والمذهب قال هم في أسلوب سوء، ويجمع على أساليب، وقد سلك أسلوبه طريقته...وكلامه على أساليب حسنة.

ـ معجم مختار الصحاح: ورد فيه أن "الأسلوب (بالضم) الفن، يقال : أخذ فلان من أساليب القول أي في فنون منه"[156].

[155] ـ ابن منظور: مصدر سبق ذكره، ج1، مادة سلب، ص473.

[156] ـ اسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج1، تح: أحمد عبد الغفور عطار، مادة سلب ،ط4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ، ص 149.

ـ قاموس المحيط: يذهب الفيروزبادي صاحب هذا القاموس بأن الأسلوب: هو الطريق.[157]

- أساس البلاغة: جاء فيه :"...لسلكت أسلوب فلان: طريقته، وكلامه على أساليب حسنة..."[158].

وبالنظر إلى المفهوم المعجمي لكلمة "أسلوب" نخلص إلى أنه ذو بعدين :

-بعد مادي: الذي يمكن أن نلمسه في تحديد مفهوم الكلمة من حيث ارتبطت في مدلولها بمعنى الطريق الممتد أو السطر من النخيل .

-بعد فني: الذي يتمثل في ربطها بأساليب القول وأفانينه

كما أنه يحمل دلالة الاستقامة والمنهجية.

ثانيا- الاتجاه الاصطلاحي: لقد قدم العلماء العرب القدماء دراسات قيمة في مجال معرفة ماهية الأسلوب والوقوف عند حدوده النظرية والإجرائية، فاهتموا بداية بالبحث في أسلوب القرآن الكريم مقارنين بينه وبين الأساليب الأخرى ومن هؤلاء ابن قتيبة والباقلاني، وعبد القاهر الجرجاني، وفيما يأتي ملخصا لبعض آرائهم:

1-**ابن قتيبة:** يرى ابن قتيبة أن الأسلوب هو قدرة الكاتب الفنية في التصرف في المعاني فقال: "إنما يعرف فضل القرآن من كثُر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانهم في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون اللغات، فإنه ليس في الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال ما أوتيته العرب خصّيصة من الله"[159] .

[157] - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي: قاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مادة سلب،ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م، ص 98.

[158] - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل، مادة سلب، بيروت، ص 468.

يمكن أن نلخص قول ابن قتيبة في النقاط الآتية:

- ربط ابن قتيبة بين تعدد الأساليب وطرائق العرب في آداء المعنى.
- ربط بين الأسلوب وآليات الصياغة .

2- **أبو بكر الباقلاني:** كانت دراسته في إعجاز القرآن الكريم هي خلاصة رأيه عن

مفهوم الأسلوب، حيث أبان أن إعجاز القرآن الكريم ناتج عن بلاغته، وبديع نظمه، فقد جاء القرآن الكريم على أسلوب لم يكن معهودا للعرب، فلا هو بالشعر، ولا هو بالسجع، ولا هو بقول الكهان كما ورد على لسان المشركين، فبين لهم المولى –عز وجل– أنه ليس بقول شاعر ولا بقول كاهن [160].

وبهذا فإن الباقلاني قد أقام علاقة بين الأسلوب و الجنس الأدبي .

3- **عبد القاهر الجرجاني:** الأسلوب عنده هو الضرب من النظم والطريقة فيه، حيث

يقول:"واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرضا أسلوبا– والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه– فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره بمن يقطع أديمه نعلا على مثال نعل قد قطعها صاحبها فيقال قد احتذى على مثاله"[161].

يركز عبد القاهر الجرجاني في قوله على ما يأتي:

- يعدّ الجرجاني الاحتذاء ضربا من الأسلوب أي من النظم .
- يتحدث الجرجاني عن الأسلوب كمصطلح من خلال العرض التطبيقي للاحتذاء.

[159] : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تاويل مشكل القرآن، تح: أحمد صقر، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، 1954، ص10 .
[160] - ينظر: أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دط، دار المعارف، 1963، ص3 .
[161] - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، شرحه وقدم له: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2002م، ص 428 .

- أشار الجرجاني إلى بروز شخصية المبدع في مقابل اختفاء شخصية المحتذي، فتتفوق شخصية المبدع المبتكر على المؤلف الثاني لأنه يعتمد على خصوصية الأول .

بيّن عبد القاهر الجرجاني أن الأسلوب ضرب من النظم، كما بيّن أن كل نظم له خصائصه التي يتميز به عن غيره [162].

[162] - للتوسع أكثر في مفهوم الأسلوب في التراث النقدي العربي، ينظر: إبراهيم خليل: الأسلوبية ونظرية النص، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، دت، ص 22، وما يليها .

المحاضرة الثانية عشر: الأسلوب عند النقاد والبلاغيين .

أولا- عند القدماء:

يتفق معظم النقاد والبلاغيين أن الأسلوب هو طريقة تعبير ومنهج تأليف وكيفية آداء، إلا أن نظرتهم إلى هذا المفهوم متعددة الأوجه والزوايا، وكل منهم يربطه بجانب معين من اللغة أو فرع منها، ويمكن أن نصنف هذه الرؤى إلى ثلاث فئات رئيسة هي:

1 **- الأسلوب / الفن :** يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الأسلوب فن، فيركزون على الطريقة في التعبير، والكيفية في الأداء، والأداء الفني في هذا المقام لا يقصد به العناصر الجزئية للتأليف فحسب، وإنما القالب العام الذي يظهر به النص ويتشكل وفقه ومن هؤلاء، ابن رشيق، وابن خلدون، وابن قتيبة، والخطابي، ونمثل لهذا الاتجاه بمفهوم الأسلوب عن الخطابي .

الأسلوب عند الخطابي : يرى الخطابي أن الأساليب تختلف، وسبب اختلافها هو تعدد الموضوعات، فالأساليب تتعدد بتعدد الموضوعات التي يطرقها المؤلف، ويرى الخطابي أن الموضوع هو الذي يحدد الأسلوب اللائق به، وقال بأن الموضوع يتعدى الأسلوب الواحد، ومن هذا المبدأ استمد النقد قوته بأن ميز بين الشعراء في الموضوع الواحد فيحكم بجودة أحدهما على الآخر، ويذكر الخطابي في هذا الشأن :"وهاهنا وجه آخر يدخل في هذا الباب وليس بمحض المعارضة، ولكنه نوع من الموازنة بين المعارضة والمقابلة، وهو أن يجري أحد الشاعرين في أسلوب من أساليب الكلام، وواد من أوديته فيكون أحدهما أبلغ في وصف ما كان بباله من الآخر في نعت ما هو بإزائه، وذلك مثل أن تتأمل شعر أبي دوّاد الأيادي والنابغة الجعدي في صفة الخيل، وشعر الأعشى

والأخطل ونعت الخمر... فإن كل واحد منهم وصّاف لما يضاف إليه من أنواع الأمور فيقال فلان أشعر في بابه ومذهبه من فلان في طريقته التي يذهبها في شعره ".[163]

يركز الخطابي في قوله هذا على الطريقة الفنية التي يصاغ بها الموضوع، أي الكيفية التي ينسج بها الشاعر موضوعه، كما أنه دقق في التفاصيل التي يتفاوت فيها الشعراء وطبقا لكيفية الآداء تتم المفاضلة بينهم، وبذا نخلص إلى أن الأسلوب عند الخطابي هو براعة الكاتب أو الشاعر في نسج موضوع معين.

2 ـ **<u>الأسلوب / النظم:</u>** يتمثل رأي أصحاب هذا الاتجاه أساسا في تشكل العبارة وكيفيتها، وحاولوا إبراز مقاييس الجودة التي تبنى عليها الأعمال الأدبية والإبداعية كالخطابة والشعر وشروط تأليفها كما تطرق عدد منهم إلى قضية الإعجاز القرآني معتمدين في ذلك على دراسة نظمه وإظهار اختلافاته عن سائر كلام العرب، ومن هؤلاء الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني.

الأسلوب عند الجاحظ : ركز الجاحظ في حديثه عن النظم على اهمية اللفظة ورأى بأنها العنصر الفاعل في العملية الشعرية من مبدأ فصاحتها، وجرسها ومعجمها وإيحاءاتها وحسن تناسقها مع الكلمات المجاورة لها، ونبه الجاحظ إلى أهمية تخيّر الألفاظ بما يخدم المعاني، كما في نظم الخطابة، يقول:"رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وجناحاها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخيّر اللفظ".[164]

وقد جعل الجاحظ تخير اللفظ في الدرجة الأولى، و جعل دور المعاني ومكانتها في مرحلة تالية لها" ... والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، إنما الشأن في إقامة الوزن، وتميز اللفظ، وسهولته، وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع وجودة السبك"[165].

---

[163] ـ أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطابي: بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ط2، دار المعارف، مصر، القاهرة 1968، ص 65 .

[164] ـ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، تح: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، ط1، القاهرة، ص 44.

[165] ـ الجاحظ: الحيوان، المجلد 1، ج3، شرح وتحقيق: يحي الشامي ، ط1، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، 2003م، ص 408 .

إن المعاني والدلالات مشتركة بين جميع المبدعين، فلا تفاضل بينهم في هذا المستوى، وإنما تمايز الشعراء يكمن في كيفية استغلال الطاقات اللغوية من حيث اختيار الألفاظ المناسبة والتراكيب والصيغ، وجعل باطن النص ومعانيه مرتبط باستقامة ظاهره من الألفاظ والتراكيب.

إن النظم عند الجاحظ، يخص أسلوب الشعر وما يتعلق به من خصائص مقارنة بأشكال أخرى من الخطابات معتمدا على ركنين أساسيين في ذلك :

- اللفظة المفردة بشروطها.
- الوزن الذي يتحكم في الصورة العامة للتركيب .

3-الأسلوب/ البلاغة :

هناك من الدارسين من ربط مفهوم الأسلوب بالجانب البلاغي والدلالي، واهتم بتشكل المعاني وتناسقها، فالاختلاف والتباين بين المبدعين يكمن في الجوانب البلاغية، وضمن هذا الاتجاه نجد ابن الأثير، وأبا حيان التوحيدي، إذ يقول عند عرضه لأصناف الناس وفق قدراتهم العقلية :"وكل صنف من هؤلاء مراتبهم مختلفة، وإن كان الوصف قد جمعهم باللفظ وهذا كما تقول: الملوك ساسة، ولكل واحد منهم خاصة، وكما يقولون: هؤلاء شعراء، ولك واحد منهم بحر، وهؤلاء بلغاء، ولكل واحد منهم أسلوب، وكما تقول: علماء، ولكل واحد منهم مذهب"[166].

إن أبا حيان يخصص مصطلح الأسلوب للكلام البليغ من نثر وشعر، والشعر الجيد لا ينظر إليه فقط من أوزانه وألفاظه، وإنما ينظر إليه من بلاغته في معانيه.

نخلص في الأخير إلى أن النقاد اتخذوا الأسلوب قضية فنية يفاضلون بين الشعراء من خلالها، وأما البلاغيون فقد ربطوا الأسلوب بالكلام البليغ من نثر وشعر .

[166] - أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج1، دط، موفم للنشر، الجزائر، 1989م، ص 260 .

ثانيا-عند المحدثين:

معظم الدارسين المحدثين سلموا بوجود الأسلوب، إلا أنهم لم يتفقوا على تحديده وتحديد الإطار النظري الذي تتم دراسته في نطاقه، "وليس هناك تعريف واحد للأسلوب يتمتع بالقدرة الكاملة على الإقناع، ولا نظرية يجمع عليها الدارسون في تناوله"[167]، حيث نجد بعض الدارسين نظروا للأسلوب من حيث تعلقه بالباث أو المرسل، وبعضهم علق الأسلوب بناصية النص ولغته والإمكانات الاختيارية التي يقدمها، وما يحمل من شحنات، وآخرون اعتبروا الأسلوب متعلق بالمتلقي، وتبعا لتعدد وجهات النظر تعددت مفاهيم الأسلوب نذكر منها:

1- **الأسلوب /الباث:** ينظر أصحاب هذا الاتجاه إلى أن الأسلوب هو موقف يتخذه صاحب النص نحو موضوع معين، فيعبر عنه باللغة التي تتشكل بنظام خاص له طرائقه وكيفياته المحددة فينتج نصا .

"إن أسلوب الكاتب أو الشاعر أو الخطيب نتيجة طبيعية لمواهبه وصورة لشخصيته هو...استمده من نفسه وصاغه بلغته وعباراته، دون تقليد سواه من الأدباء لأن كل أسلوب صورة خاصة بصاحبه تبين طريقة تفكيره وكيفية نظره إلى الأشياء، وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته هي أساس تكوين الأسلوب"[168]، ولعل ذلك راجع إلى أن عملية الإنشاء تبدأ بوجود مثيرات أو انفعالات نابعة من ذات المنشئ، وقد تكون خارجية فرضتها البيئة المحيطة، هذه المحركات تتحول إلى أفكار في ذهن صاحبها، ثم تترجم إلى أقوال وعبارات تشكل أسلوب الباث .

"وهكذا تتنزل نظرية تحديد الأسلوب منزلة لوحة الإسقاط الكاشفة لمخبآت شخصية الإنسان ما ظهر منها في الخطاب وما بطن، وما صرّح به وما ضمّن، فالأسلوب جسر

[167] - صلاح فضل: الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1419هـ، 1998م، ص 95.
[168] - نجم الدين إشولا راجي: أسلوب الكتابة في اللغة العربية، ط1، شمس للنشر والتوزيع، 2009م، ص 42 .

إلى مقاصد صاحبه من حيث إنه قناة العبور إلى مقومات شخصيته لا الفنية فحسب بل الوجودية مطلقا"[169].

واستنادا لآراء هذا الاتجاه فإنه من المؤكد أن تتفرد الأساليب تبعا لاختلاف السمات الذهنية والانفعالية لدى المنشئين "فكل منشئ يمتلك عالما من المعاني والأخيلة، وطريقة في الصياغة والتعبير مما يجعل له –في النهاية– شخصيته الأسلوبية ذات السمات والملامح المتميزة التي تميزه عن نظرائه من المنشئين"[170].

وعلى هذا الأساس فإن الأسلوب يعبر تعبيرا كاملا عن شخصية صاحبه، فيعكس أفكاره، ويظهر صفاته الإنسانية التكوينية والإبداعية .

2-**<u>الأسلوب/ النص:</u>** تستند العملية الإبداعية في تشكيلها إلى ثلاث دعائم، هي المخاطِب والمخاطَب والخطاب، وتتشكل هذه العناصر وفق قاعدة التكامل.

ويفرق علماء الأسلوب الذين يحددون الأسلوب من زاوية النص بين وضعين للغة هما : وضع معجمي ثابت، ووضع استعمالي متغير.

ولعل هذا المبدأ يقودنا إلى ثنائية دوسوسير اللغة Language والكلام Parole حيث يشتمل مستوى اللغة على قواعد نسقية وهي ذات طبيعة مجردة وثابتة، بينما يمثل مستوى الكلام اللغة حيث توظف أو تمارس عند الأشخاص.

ومن هذا المستوى الأخير يمكن أن نميز مستويين من الاستخدام اللغوي هما:

أ-استخدام اتصالي عادي: يؤدي وظيفة نفعية.

[169] - عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، سبق ذكره، ص 67، 68 .
[170] - فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دط، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004م، ص 14 .

ب–استخدام اتصالي جمالي: يؤدي وظيفة نفعية إمتاعية، كما هو موضح في الخطاطة الآتية:

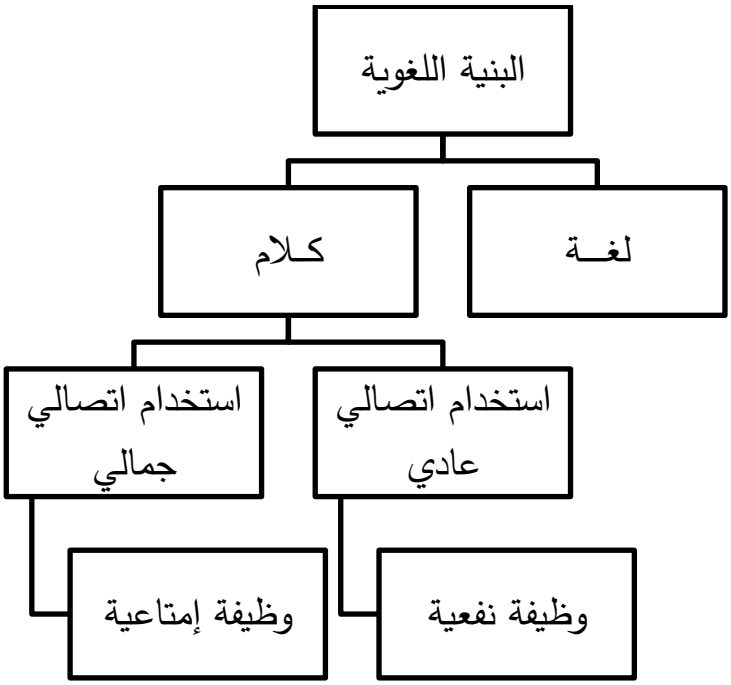

ومن المؤكد أن "ثمة فرق بين الخطاب العادي والخطاب الأدبي، فأولهما يعتمد على المباشرة...ويهدف إلى التبادل النفعي، ويتسم هذا المستوى من الاستخدام بمحدودية معجمه، إذ ليس في ألفاظه الجديد...أما الخطاب الأدبي فيصدر عن ملَكة عند منشئه، ويسعى إلى أن يمس إحساس متلقيه مسًّا، سامعا كان أم قارئا، كما يتميز أن ألفاظه مختارة ومفرداته منتقاة ومعانيه مبتكرة، قد يفهمه متلقيه دون عناء، وقد يحتاج لفهمه ولبيان ما يراد به إلى إمعان الفكر وإعمال العقل"[171].

[171] - فتح الله أحمد سليمان : الأسلوبية مدخل نظرية ودراسة تطبيقية، سبق ذكره، ص 17 .

وبهذا فإن أصحاب هذا الاتجاه ينظّرون للأسلوب على أنه نوع من الخطاب الفني، يتشكل من وحدات مختلفة نحوية وصرفية ومعجمية، وشرط فنيته أن يخرج هذا التشكيل عن المألوف والنمطية، وذلك "بأن يبتكر صيغا وأساليب جديدة، أو يستبدل تعبيرات جديدة ليست شائعة بأخرى قديمة، أو يقيم نوعا من الترابط بين لفظين أو أكثر، أو يستخدم لفظا في غير ما وُضع له..."[172] .

3-<u>الأسلوب /المتلقي:</u>

يعد الأسلوب عند أصحاب هذا التيار انزياحا (اختياريا)، ويكون هذا الانزياح مصحوبا بشحنات ناجمة عن قوة الضغط الممارس من طرف اللغة، من أجل تطوير ذاتها، يقول ريفاتير في تعريفه للأسلوب: "هو ذلك الإبراز mis en relief الذي يفرض على انتباه القارئ بعض عناصر السلسلة التعبيرية" [173].ويضيف فيقول:"أعني بالأسلوب الأدبي كل شكل ثابت permanent فردي ذي مقصدية أدبية"[174]، والشكل الثابت عنده يعني "ثبات الخصائص الشكلية التي تميز كل عمل أدبي[175]"[176]، وأما المقصدية فهي "لا تعني بالضرورة تلك الحمولة الدلالية، بل كل مقصدية تجد في النص بعض ما يبررها على مستوى وحداته البانية، أي تلك الحمولة الجمالية" [177].

من هذا التعريف ندرك الأهمية التي أولاها ريفاتير للقارئ[178] وجعله عنصرا مشاركا في عملية التسنين، وأساسيا في عملية التفكيك، وذلك بعدم تجاوز القارئ ذلك البروز لأن

---

[172] - فتح الله أحمد سليمان : الأسلوبية مدخل نظرية ودراسة تطبيقية، سبق ذكره ص 20 .

[173] - المصدر نفسه: ص 21 .

[174] - ميكائيل ريفاتير: معايير تحليل الأسلوب، ترجمة وتقديم وتعليق: حميد لحميداني، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993، ص19 .

[175] - أدبي: ندعو "أدبيا" كل كتابة لها خصائص نصب تذكاري، بمعنى تلك التي تعرض نفسها للانتباه بفضل شكلها، ينظر: نفسه، ص 20.

[176] - المصدر نفسه: ص 5.

[177] - المصدر نفسه: ص 5 .

[178] - القارئ النموذجي: هو "مجموع قراءات"، فلا وجود لقارئ بذاته يسمى كذلك، ولكنه قارئ مجرد يشكل حصيلة لمتوسط ردود أفعال القراء تجاه نص معين، ينظر: يوسف وغليسي: مجلة علامات (مصطلح الانزياح بين ثابت اللغة المعيارية الغربية، ومتغيرات الكلام الأسلوبي العربي)، ج64، مج 16، فبراير 2008م، ص 192 .

في ذلك تشويه لمقصدية النص، وإلزامية الوقوف عنده لاكتشاف أبعاده الدلالية وسماته الجمالية.

وقد ترتب عن استخدام القارئ النموذجي فكرة أساسية مفادها أن النص رغم طابعه القار شكلا (لغة) إلا أنه متغير من الناحية الأسلوبية، فما استحسنه قارئ في فترة زمنية محددة نتيجة منبهات أسلوبية أثارته، قد يستهجنه قارئ آخر في فترة زمنية لاحقة بسبب عدم قدرة النص الحفاظ على منبهاته الأسلوبية، كما أن النص أيضا قادر على خلق سمات أسلوبية مؤثرة حينا آخر مما يعني أن أسلوب النص متغير ومتحرك على الدوام.

المحاضرة الثالثة عشر: البلاغة والأسلوبية :

ارتبطت البلاغة بالدراسات الأدبية والنقدية، ويعد النحو واللسانيات والشعرية والأسلوبية من أهم تلك الدراسات، وهذا الارتباط ولّد تداخلا فيما بينها، ومحور التقاء جميع هذه العلوم هو النص الأدبي، وقد شغلت العلاقة بين البلاغة والأسلوبية جدلا واسعا ،وكثرت الأسئلة حول تأثير البلاغة في علم الأسلوب الحديث، وهل البلاغة تعد المنشأ الأول للأسلوبية؟ أم أن الأسلوبية علم نقدي حديث نشأ بمعزل عن تأثير البلاغة؟ وضمن هذا الجدل رصدنا اتجهات ثلاث :

أولا- الاتجاه الأول:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن العلاقة بين البلاغة والأسلوبية هي علاقة اتصال، وأن مبادئ الأسلوبية هي امتداد لقضايا بلاغية طورت بعضها، وأضافت إليها قضايا أخرى ونظروا إلى الدرس البلاغي القديم على أنه درس خصب، والأسلوبية استثمرت معظم مباحثه، ومن هؤلاء "شكري عياد " في كتابه " مدخل إلى علم الأسلوب"، الذي يرى أن البلاغة قد وضعت المبادئ الأساسية لعلم الأسلوب الحديث "ولكني إذ أقدم إليك هذا الكتاب لا أغريك ببضاعة جديدة مستوردة، فعلم الأسلوب ذو نسب عريق عندنا، لأن أصوله ترجع إلى علوم البلاغة"[179] وقد كشف عن أوجه التلاقي بين الدرس الأسلوبي والدرس البلاغي ولخصها في النقاط الآتية:

[179] - شكري عياد : مدخل إلى علم الأسلوب، ط1، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1982، ص 7 .

1_ أهمية الموقف:

يهتم علماء الأسلوب وعلماء البلاغة بمراعاة مقتضى الحال، وقد أدت الظروف الفكرية التي أحاطت العصر القديم والعصر الحديث إلى تفاوت بين العلمين في هذا المجال حيث كانت البلاغة تركز على عقلية المخاطب، نظرا لخضوع البلاغة في ذلك الوقت لسيادة المنطق على التفكير العلمي، وإن وجد عندهم مادة أدبية تهتم بالناحية الوجدانية للمخاطب، بينما كانت الأسلوبية قد نشأت في عهد علم النفس الذي انتشر في شتى المجالات، لذلك وُجد الموقف عند الأسلوبيين أشد تعقيدا منه عند البلاغيين.

2 _ طرق التعبير:

يفترض كلا العلمين أن هناك طرقا متعددة للتعبير عن المعنى، وأن القائل والكاتب يختار إحدى هذه الطرق بما يراه مناسبا للموقف في رأيه.

3_ الهدف:

أما فيما يتعلق بالهدف فقد قرره شكري عياد مشتركا، إذ يسعى كلا العلمين إلى تقديم "صورة شاملة لأنواع المفردات والتراكيب، وما يختص به كل منهما من الدلالات"[180].

ويعد الباحث "منذر عياشي" أيضا ضمن هذا الاتجاه، حيث أشار في كتابه "الأسلوبية وتحليل الخطاب" إلى أن "التراث العربي عرف الظاهرة الأسلوبية، فدرسها ضمن الدرس البلاغي، ولو تأمل المتأمل لتأكد له أن الدرس البلاغي العربي إنما كان درسا أسلوبيا على وجه الإجمال"[181] .

ويلخص أصحاب هذا الاتجاه أوجه الاتفاق بين البلاغة والأسلوبية في النقاط الآتية:

[180] _ شكري عياد: مدخل إلى علم الأسلوب، سبق ذكره، ص 43.
[181] _ منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، مركز الإنماء الحضاري، 2002، ص 27، 28 .

_ مجالهما واحد وهو النص الأدبي.

_ علم الأسلوب استفاد كثيرا من مباحث البلاغة مثل : علم المعاني والمجاز والبديع وما يتصل بالموازنات بين الشعراء وأساليبهم الفردية.

_ تلتقي الأسلوبية مع البلاغة في نظرية النظم، حيث لا فصل بين الشكل والمضمون في الدراسة البلاغية، وبين الدال والمدلول في الدراسة الأسلوبية.

_ يلتقي العلمان في أهم مبدأين تختص بهما الدراسة الأسلوبية هما : العدول والاختيار.

_ البلاغة تقوم على "مراعاة مقتضى الحال" والأسلوبية تعتمد "الموقف" وواضح ما بين المصطلحين من تقارب .

ثانيا_ الاتجاه الثاني:

نظر أصحاب هذا الاتجاه إلى العلاقة بين البلاغة والأسلوبية من خلال أوجه التباين بين العلمين، ورأوا أن البلاغة قد توقفت في نموها وتحجرت في قوالبها، ولم تعد قادرة على بحث العمل الأدبي كاملا، وأبرز من يتصدر هذا الاتجاه "عبد السلام المسدي"في كتابه الأسلوبية والأسلوب و"سعد مصلوح" في بحثه "مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية" و"صلاح فضل" في كتابه "علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته" و"محمد عبد المطلب" في كتابـه "البلاغة والأسلوبية"، وسنعـرض فيما يـأتي أراء بعضهم :

1_ عبد السلام المسدي:

يستهل حديثه عن العلاقة بين البلاغة والأسلوبية بقوله :"أما الأسلوبية والبلاغة كمتصَوَّرَين فكريين فتمثلان شحنتين متنافرتين متضادتين لا يستقيم لهما تواجد آني في تفكير أصولي موحّد"[182]، ولخص أهم الفروق بين العلمين في النقاط الآتية:

_ البلاغة علم معياري يرسل الأحكام التقييمية، ويرمي إلى "تعليم" مادته، بينما تنفي

[182] _ عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ط3، الدار العربية للكتاب، دت، ص 52 .

الأسلوبية عن نفسها كل معيارية، وتعزف عن إرسال الأحكام التقييمية بالمدح أو التهجين، ولا تسعى إلى غاية تعليمية البتّة.

_ البلاغة تحكُم بمقتضى أنماط مسبقة وتصنيفات جاهزة بينما تتحدد الأسلوبية بقيود منهج العلوم الوصفية .

_ البلاغة ترمي إلى خلق الإبداع بوصاياها التقييمية، بينما تسعى الأسلوبية إلى تعليل الظاهرة الإبداعية بعد أن يتقرر وجودها.

2 _ **محمد عبد المطلب:**

يرى محمد عبد المطلب أن الأسلوبية حلّت كبديل عن قصور البلاغة وعجزها، ويتمثل عجزها في عدة قضايا منها :

أ _ **مبدأ الحُكم:**

لاحظ أن البلاغة تعتمد أنماطا مسبقة وتصنيفات جاهزة تحكم من خلالها على جودة العمل الأدبي أو رداءته،"وأصبحت القواعد الجمالية ذات صبغة جمالية شاملة، لا تكاد تفرق بين طبيعة الجمال في كل لون من ألوان الإبداع شعرا كان أو نثرا، بل قاست الأدب بمقدار قربه أو بعده من مقاييس البلاغة" [183].

ب_ **موقف البلاغة من الإبداع:**

أكد محمد عبد المطلب أن البلاغة سعت إلى خلق الإبداع انطلاقا من وصاياها التقييمية "فاتجه البلاغيون إلى الاختيار من النماذج المطروحة أمامهم، ليؤيّدوا بها ما استنبطوه من قواعد، ولم يكن لهم في هذا المجال استقراء دقيق، بل ربما وصل بهم الأمر إلى افتراض

[183] _ محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، 1994م، ص 259 .

وجود نموذج لقاعدتهم في نص من النصوص، إذا أعوزهم الوجود الحقيقي له، أو ربما حاولوا صناعة نص يحمل الخاصة التي يريدون الاستشهاد بها على قاعدتهم، وهذا كله جعلهم يحمِّلون فنون القول ما لا تحتمل من صورهم البلاغية "[184].

ج_ **الفصل بين الشكل والمضمون:**

تتلخص رؤية محمد عبد المطلب في هذه المسألة أن البلاغة عمدت الفصل بين الشكل والمضمون فكانت دراستها جزئية، وقد أتاح هذا القصور التمهيد لحلول الأسلوبية كبديل "يحاول تجاوز الدراسة الجزئية القديمة، وإقامة بناء علمي يبتعد عن الشكلية البلاغية التي أرهقتها مصطلحات البلاغيين بتفريعات كادت تغطي على كل قيمها الجمالية"[185] .

وثمّن "صلاح فضل" ما ذهب إليه "محمد عبد المطلب"، في قضية عجز البلاغة ورأى أنها "فقدت أهميتها، ولم تصبح لها أية قيمة باعتبارها مجموعة من التصورات والمفاهيم التقنينية المعيارية" [186].

ثالثا_ الاتجاه الثالث:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن العلاقة بين البلاغة والأسلوبية هي علاقة تداخل، وأبرز من يمثل هذا الاتجاه "هنريش بليث" في كتابه "البلاغة والأسلوبية"، إذ يقول :"تقيم البلاغة والأسلوبية منذ زمن علاقات وطيدة، تتقلص الأسلوبية أحيانا حتى لا تعدو أن تكون

[184] _ نفسه: ص 260 .
[185] _ محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية ، سبق ذكره،ص 259 .
[186] _ صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1998م، ص 182 .

جزءا من نموذج التواصل البلاغي، وتنفصل أحيانا عن هذا النموذج وتتسع حتى لتكاد تمثل البلاغة كلها باعتبارها "بلاغة مختزلة" "[187].

من خلال عرضنا لعلاقة البلاغة بالأسلوبية نخلص إلى أنهما يلتقيان في مجال

واحد وهو الاهتمام بالنص الأدبي وبمستوياته اللغوية، بهدف خدمة عناصر الإبداع فيه معتمدين وسائل إجرائية يستقل فيها كل علم عن الآخر وإن تقاربت أحيانا .

المحاضرة الرابعة عشر : أسس التحليل الأسلوبي ومناهجه:

أولا – أسس التحليل الأسلوبي:

تكمن أهمية التحليل الأسلوبي في أنه "يكشف المدلولات الجمالية في النص، وذلك

عن طريق النفاذ في مضمونه وتجزئة عناصره، والتحليل بهذا يمكن أن يمهد الطريق للناقد ويمده بمعايير موضوعية يستطيع على أساسها ممارسة عمله النقدي وترشيد أحكامه، ومن ثم قيامها على أسس منضبطة".[188]

وقد دأب الأسلوبيون على رصد وتتبع أساليب الكتاب، والوقوف على آليات التفاوت فيما بينهم، وذلك بالاعتماد على ثلاثة أسس: الاختيار، والتركيب، والانزياح.

1-**الاختيار**:

يعد الاختيار أحد أهم أسس التحليلي الأسلوبي، إذ يساعد على قياس مدى تفاوت

الأساليب وتباينها، ذلك لأن "الاختيار يعني وجود تعبيرين أو أكثر لهما المعنى نفسه، بيد أنهما يختلفان في طرائق تأديته" [189].

[187] _ هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص)، تر: محمد العمري، دط، إفريقيا الشرق، بيروت ، 1999م، ص 19 .
[188] - فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دط، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004م، ص 53 .

يقوم المبدع باختيار مفردات وألفاظ من بين العديد من البدائل الموجودة في معجمه

ليحملها بطاقات تعبيرية وجمالية من خلال استخدامها انتقاء ضمن سياق النص، فاستخدام المبدع للفظة من بين سائر الألفاظ هو ما يسمى "اختيارا"، ولذلك عدّ الاختيار خاصة من خصائص البحث الأسلوبي، ومبدأ أساسي يساعد على كشف تفرد الكاتب من خلال استعمالاته اللغوية والأسلوبية، وتميّزه عن غيره، ذلك لأن هذا المبدأ هو "عملية واعية يقوم بها الأديب لتحديد أسلوبه الخاص، وبشكل واضح، فإن كل مؤلف يعتمد على الذخيرة العامة للغة في أي حقبة معينة، وأن ما يجعل الأساليب متميزة إنما هو اختيار المفردات وتوزيعها وتشكيلها"[190]. ومن ثم كان الاختلاف بحسب مهارة وقدرة كل مبدع في كيفية الاختيار، وتشكيل اللغة وفق مفهوم هذا المبدأ .

إن مهمة الكاتب تكون في حسن اختيار العناصر اللغوية، وعلى المحلل الأسلوبي كشف مدى مناسبة دلالة هذه العناصر المختارة، وقدرتها على إحداث التأثير والإقناع، وأيضا الوقوف على حمولتها الجمالية .

2-<u>التركيب:</u>

إن اللغة تركيبة قائمة في ذاتها "تقوم على ظواهر مترابطة العناصر وماهية كل عنصر وقف على بقية العناصر بحيث لا يتحدد إحداهما إلا بعلاقته بالأخرى فتكون اللغة جهاز تنظيم في صلبه عناصر مترابطة عضويا، بحيث لا يتغير عنصر إلا انجر عن تغيره وضع بقية العناصر، وبالتالي كل الجهاز، وما إن يستجيب الكل لتغيير الجزء حتى يستعيد الجهاز انتظامه الداخلي".[191]

[189] - حسن ناظم: البنى الأسلوبية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002م، ص56 .
[190] - حسن ناظم: البنى الأسلوبية، سبق ذكره، ص 53 .
[191] - نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1،دار هومة، الجزائر،1977، ص 160 .

ولذلك عد التركيب عنصرا أساسيا في الظاهرة اللغوية، وعليه يقوم النظم الصحيح، وتبنى سلامة الأسلوب، وتقاس عملية التركيب بالرجوع إلى المزاج النفسي للكاتب وثقافته الخاصة ومن ثم يختلف أسلوب كاتب عن آخر.

فالأسلوبية إذن "ترى أن الكاتب لا يتسنى له الإفصاح عن حسه ولا عن تصوره للوجود إلا انطلاقا من تركيب الأدوات اللغوية تركيبا يفضي إلى إفراز الصورة المنشودة، والانفعال المقصود، والانطباع النابع من الذات عبر النص من خلال اللغة ليحتضنه القارئ بحرارة".[192]

3-الانزياح :

عرف مصطلح "الانزياح" عند الأسلوبيين بدائل عديدة نذكر منها: الانحراف(La deviation) الاختلال (La distorsion) المخالفة (L'infraction) الشناعة(La scondale)،الانتهاك(Le viol)،خرق السنن (La violation des normes)[193].

وقد يرجع هذا التعدد في مصطلح الانزياح إلى اختلاف الأسلوبيين في تحديد الواقع اللغوي الذي هو بمثابة الأصل.

فالدراسات الأسلوبية للنص الأدبي عند " ليو سبيتزر" (Leo Spitzer)تعتبر الأسلوب انحرافا وذلك أن "سبيتزر" يذهب إلى أن عملية الدراسات الأسلوبية عليها أن تبدأ من أي تفصيل في النص يلفت اهتمام المحلل، سواء لأنه يمثل انحرافا عن أنماط الكتابة القائمة، أو لأنه يمتلك دلالة على العمل الأدبي ككل[194].

---

[192] - المرجع نفسه: ص 169 .

[193] -ينظر بشان هذه المصطلحات وأصحابها :عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،ط5،2006 م ،ص ص 79،80.

[194] -عدنان بن ذريل: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2000م، ص38.

ويرى "سبيتزر" أن أي انحراف لغوي عن نموذج الكلام الجاري في الاستعمال ليس إلا تعبيرا موازيا للإثارة النفسية المنحرفة عن المألوف في حياتنا النفسية ولهذا يستطيع الإنسان أن يحدس بمركز العواطف في النفس، من الانحراف اللغوي عن النموذج المعياري[195].

أما "جون كوهين"(Jon Cohen) فيرى أن في لغة جميع الشعراء يوجد عنصر ثابت على الرغم من الاختلافات، أي وجود طريقة واحدة للانزياح بالقياس إلى المعيار[196].

ويعد "ميشال ريفاتير"(Michel Riffater) الأسلوب انزياحا عن النمط التعبيري المتواضع عليه، وهو خروج عن القواعد اللغوية ولجوء إلى ما ندر من الصيغ، وإذا كان الأسلوب هو الخروج عن المعيار، فإن المعيار في عرف "ريفاتير" هو الكلام الجاري على ألسنة الناس في استعماله العادي والحيادي، وهو التعبير البسيط السائر على الألسنة حسب السنن اللغوية وغايته التوصل والإبلاغ، وهو تشكيل للغة محدود الفعالية، لا تهيمن فيه الوظيفة الشعرية أو الأدبية[197].

وباختلاف الأصل الذي هو معيار الخروج عند هؤلاء يثير إشكالات عدة منها:

_ ما هو المعيار الذي نقيس بواسطته مدى العدول؟

_ ماذا عن النصوص الخالية من أي عدول عن قاعدة ما؟

_هل كل عدول يحمل قيمة أسلوبية، وهل كل قيمة أسلوبية ناتجة عن عدول ؟

_ كيف نتعامل مع هذه النظرية بإزاء تحليل النصوص لكتاب يكتبون بأسلوب عادي؟

_التركيز على العدول يجعلنا نهمل ملامح أخرى للنص المدروس.

---

[195] -يوسف أبو العدوس: الأسلوبية، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، العبدلي، الأردن، ط1،2007 م،ص185.

[196] - نور الدين السد : الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث)، ج1، سبق ذكره ص189.

[197] -نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب سبق ذكره، ص181.

_ إن ما يعدّ عدولا حينا قد يصبح قاعدة حينا آخر، فهذه الزئبقية تربك المنظِّر والمطبق معا[198].

ويؤكد أصحاب هذا المفهوم أن مصطلح "الانزياح" يؤدي دورا بارزا في الدرس الأسلوبي يتمثل فيما يأتي:

- رصد ظواهر الانحراف في النص الشعري يمكن أن تعين على قراءته قراءة استنباطية تبتعد عن القراءة السطحية، وبهذا تكون ظاهرة الانحراف ذات أبعاد دلالية وإيحائية تثير الدهشة والمفاجأة.
- يجسد الانحراف قدرة المبدع في استخدام اللغة، وتفجير طاقاتها وتوسيع دلالاتها وتوليد أساليب وتراكيب جديدة لم تكن شائعة الاستعمال[199]

ثانيا –آليات التحليل الأسلوبي:

يعتمد البحث الأسلوبي ثلاث آليات على التوالي وهي: الإحصاء والمقارنة والتصنيف.

1- **الإحصاء:** يعد الإحصاء المنطلق الأول لعملية التحليل الأسلوبي و يتناول الإحصاء الأسلوبي مجمل مستويات النص الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والتركيبية والدلالية... ويتم جدولة ذلك بحسب أنساق المستويات وعلى الرغم من أن هذه الطريقة تقوم بها الأسلوبية الإحصائية خاصة.

وبين زميب ZEMB أنواع الكلمات التي يتم إحصاؤها وهو كالآتي:

الأسماء

الكلمات والضمائر

[198] - ينظر: صلاح فضل: علم الأسلوب مبادؤه وإجراءاته، ط1، دار الأفاق، لبنان، 1985 .
[199] - ينظر: موسى ربابعة:الأسلوبية مفهومها وتجلياتها، سبق ذكره، ص 35، 36 .

أدوات الشـرط

أدوات الوصل

الأفعــال

حروف الجـر

ظروف الزمان والمكان

نعــوت

ويهدف هذا المتر الأسلوبي إلى تبيان الاختلافات الأسلوبية اللغوية بين الكتاب حيث يتم بقياس الصفة المهيمنة على النص بحسب السهم المهيمن.

2- **المقـارنـة :**

إن البحث الأسلوبي لا يستطيع أن يصل إلى نتيجة مطمئنة وقوفا عند عملية الإحصاء بل عليه الانتقال إلى الخطوة الثانية وهي المقارنة.

والمقارنة تقوم على دراسة الخصائص المهيمنة لهذا النص أو ذلك مثلما تقوم على دراسة الاختلاف والتشابه بين الأساليب.

3- **التصنيـف :**

يعتمد البحث الأسلوبي على التصنيف كخطوة ثالثة بعد الإحصاء والمقارنة فهو يعني جدولة الأساليب بحسب الخصائص المشتركة بين النص المحلل والأساليب الكبرى كالأسلوب السردي والشعري والدرامي والملحمي علاوة على أسلوب هذا العصر أو ذلك[200].

ثالثا – مناهج التحليل الأسلوبي:

تبرز أهمية الدراسات التحليلية الأسلوبية في تجاوزها الجوانب الشكلية، والتحليل السطحي الذي يعتمد الشرح إلى "استكشاف ما فيه من جوانب جمالية، وذلك بما يتيح للدارس من قدرة على التعامل مع الاستخدامات اللغوية ودلالاتها في العمل الأدبي، وبهذا التفاعل مع الخواص الأسلوبية المميزة المكتشفة بطريقة علمية سليمة، تتضح مميزات النص وخواصه الفنية"[201].

ولبلوغ هذه الغاية ينتهج الدارس الأسلوبي عدة طرائق تحليلية وإجرائية منها :

1- **منهج إمكانات النحو:** يرى أصحاب هذا المنهج أن الأسلوب الأدبي يستغل إمكانات النحو لتوفير العنصر الجمالي ومن أشهر رواده" ريتشارد أوهمان R . ohmman ويتهجون إلى أن الأسلوب "اختيار"، أو "انتقاء"، ويميزون بين نوعين من الاختيار:

- اختيار محكوم بسياق المقام، وهو نفعي مقامي: والاختيار يكون مقاميا حين يكون بين سمات مختلفة تعني دلالات مختلفة .
- انتقاء نحوي: والمقصود به قواعد اللغة بمفهومها الشامل، الصوتية والصرفية والدلالية والتركيبية، إذ يمكننا انتقاء كلمة أو تركيبا على تركيب آخر .

[200]- ينظر :https://fethi12370.wordpress.com

[201] - خليل عودة: المنهج الأسلوبي في دراسة النص الأدبي، مجلة النجاح للأبحاث، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، المجلد2، العدد8، 1994، ص 100.

" والمتفق عليه هنا هو أن التصنيف ضمن النموذج المنتقى لا يعني مجرد جمع للعناصر المنتقاة، إنما يعني تنظيمها فضلا عن كون الانتقاء والتنسيق هما العمليتين الأساسيتين اللتين تجسدان العلاقة التجاورية والتبادلية في النظام الإشاري حسب النظرية البنيوية"[202].

ولهذا فإن الانتقاء يمثل :

- الاختيار من إجمالي الإشارات اللغوية في النظام الرمزي في المرحلة الأولى.
- ويصور الاختيار بين إمكانيتين تدخلان في علاقة استبدالية في المرحلة التالية لما بينهما من علاقة تشابه وتتباين درجته بين التطابق والتشابه، أو عدم التشابه والترادف والتعاكس...

وأما التنسيق فوظيفته الربط بين عناصر لغوية مفردة بوضعها في تتابعات أن التنسيق بمعناه الحقيقي هو بناء مقالي يضع الوحدات اللغوية البسيطة المفردة في علاقة تجاور فيجمعها متتابعة في سياق خطي تتابعي في وحدة لغوية أعلى (كجمع وحدات صوتية في وحدات صرفية، وجمع وحدات صرفية في مقاطع)، ولا يقف مفهوم التجاور أو التتابع عند هذا الحد، بل إنه يتضمن الصلات الدلالية المقالية كذلك، وعليه لا بد لكل إشارة لغوية تدخل في التنسيق اللغوي والمتقاطع من أن تأتي بين ترتيبين مختلفتين للنظام هما : المحور النسقي والمحور الانتقائي .[203]

2-منهج الكلمات المفاتيح:

يعتمد هذا المنهج على دراسة لمؤلف ما من خلال كلماته البارزة في النص تسمى بـ

[202] - فيلي ساندريس: نحو نظرية أسلوبية لسانية، تر: خالد محمود جمعة، ط1، المطبعة العلمية، دمشق، 2003م، ص125 .
[203] - ينظر: - فيلي ساندريس: نحو نظرية أسلوبية لسانية ، سبق ذكره، ص 127 .

"الكلمات المفاتيح" ، والكلمة المفتاح هي التي يصل معدل تكرارها عي عمل أدبي معين ولدى مؤلف معين إلى نسبة أعلى مما هي عليه في اللغة العادية، وهي تقدوم بدورها في علم الدلالة البنيوي[204].

وعلى الناقد الأسلوبي ضمن هذا المنهج أن يحترف التمييز بين الكلمات الموضوعات والكلمات المفاتيح، إذ أنها من الممكن أن تختلط بالكلمات السياقية، التي يرجع السبب في معدلات تكرارها إلى الموضوع قبل أي باحث أسلوبي.

3-**منهج تحليل الانحراف:** تنظر هذه الفئة إلى الانزياح على أنه مفارقة، وهو انحراف عن نموذج آخر من القول باعتباره نمطا معياريا، ويتخذ الانحراف أشكالا متعددة، وقد صنفها س.ماركوس S . marcous الانحرافات المقبولة في النظرية الأسلوبية إلى خمسة أنواع:

أ -انحرافات يمكن أن تتدرج -حسب درجة امتدادها في النص- في الانحرافات المحلية أو الشاملة، ويصيب الانحراف المحلي أو الموضعي جزءا محددا من السياق، ويمكن وصف الاستعارة بأنها انحراف موضعي عن اللغة المعيارية، أما الانحراف العام فإنه يصيب النص كله فتردد وحدة لغوية معينة بكثرة غير مألوفة أو ترددها بندرة غير مألوفة في نص ما، إنما هو انحراف عام يمكن تحديده إحصائيا[205].

ب-يمكن أن تتنوع الانحرافات -بالنظر إلى صلتها بنظام القواعد الموجودة في المعيار اللغوي- إلى انحرافات سلبية وأخرى إيجابية، وتنشأ في الحالة الأولى تأثيرات شعرية بالاعتداء على القواعد النحوية، وفي الحالة الثانية بقيود في النص كقافية مثلا .

[204] - ينظر : محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ط1، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1989م ، ص 49.
[205] - ينظر: موسى ربابعة: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ط1، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2003م، ص 35 .

ج–يمكن أن تصنف الانحرافات على ضوء صفة المعيار بالنص مجال التحليل، هكذا تتميز

الانحرافات الداخلية من الخارجية، فيوجد أي انحراف داخلي حينما تبرز وحدة لغوية عن المعيار الممتد في النص كله، أما الخارجي فإنه يحدث إذا انحرف أسلوب وحدة لغوية عن المعيار الممتد في النص كله، أما الخارجي فإنه يحدث إذا انحرف أسلوب النص عن معمار اللغة المعينة.

د–تصنف الانحرافات بناء على المستوى اللغوي الذي تحدث فيه، وبهذا يمكن تمييز الانحرافات التالية، الخطية أو الكتابية، الفنولوجية، الصرفية ،النحوية، الدلالية .

هـ–تتميز الانحرافات بناء على وجود أسس أخرى مثل الوحدات اللغوية أو اندماجها بالمعنى

الذي ورد عند ياكبسون، إن الانحرافات النحوية التركيبية التي تأتي في تتابع الرموز اللغوية تخل بنظم الاندماج، مثل ذلك انحراف موقعية الكلمة عن المعيار، أما الانحرافات الجدولية فإنها تخل بنظم الاختيار عند انتقاء الرموز اللغوية، مثال ذلك انحراف الأجناس النحوية الصفة بدلا من المبتدأ، المفرد بدلا من الجمع...[206].

إن التحليل الأسلوبي وفق هذا المنهج يعتمد المقارنة بين الخصائص اللغوية في النص النمط مرتبطة بسياقاتها وبين ما يقابلها في النص المفارق وهذه المقارنة تنقسم إلى :

أ– **مقارنة صريحة:** حين يكون النص نمطا متعينا.

ب– **مقارنة ضمنية:** عند غياب النص المعين[207] .

[206] - ينظر :موسى ربابعة :سبق ذكره، ص 35، 36 .

[207] -سعد مصلوح: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ط1، عالم الكتب، القاعرة، 1991م، ص 43 .

4-**منهج الدائرة الفيلولوجية:**

وهو منهج يقوم بدراسة العمل الأدبي على ثلاث مراحل :

أ-أن يقرأ الناقد النص عدة مرات حتى يعثر على سمة معينة في الأسلوب تتكرر بصفة مستمرة.

ب-يحاول الناقد أن يكتشف الخاصية السيكولوجية التي تفسر هذه السمة.

ج-يعود الناقد مرة أخرى إلى النص ليتحرى مظاهر أخرى.

ويعد "ليو سبيتزر" أول من طبق هذا المنهج على أعمال ديدرو didrot . من أهم مبادئه:

- نقطة الانطلاق في البحث الأسلوبي، هي العمل الأدبي نفسه، واعتباره نصا لغويا قائما بذاته.
- الخصيصة الأسلوبية هي انزياح شخصي يفرق به الكاتب عن الاستعمال العادي للغة.
- اللغة تعكس شخصية الكاتب، ووسيلة من وسائل التعبير تخضع لهذه الشخصية .

خاتمة:

تعد هذه المحاضرة محاولة للوصول إلى حدود كل من البلاغة والأسلوبية، انطلاقا من تحديد مفاهيم كل من العلمين، وصولا إلى الآليات الإجرائية لكليهما، وفي نهاية هذه الجولة البحثية خلصنا إلى جملة من النتائج نجملها في الآتي:

- أسهم في إرساء علوم البلاغة علماء من اتجاهات علمية شتى، من نحويين ولغويين وأدباء وعلماء تفسير ومتكلمين .

- مرّ الدرس البلاغي بعدة أطوار، بدأت نشأته مختلطة بعلوم أخرى كالنقد وعلوم اللغة والأدب والدراسات القرآنية خاصة تلك المتعلقة ببحث إعجاز القرآن الكريم، فمرحلة تالية تميزت برصد الظواهر الفنية والأساليب البديعية، ودراسة جميعها من بيان وبديع ومعاني ضمن إطار واحد، إلى أن استقلت علومها على يد مجموعة من العلماء يتقدمهم عبد القاهر الجرجاني والسكاكي والزمخشري الذين عملوا على استقلال علوم البلاغة وتمييز مباحثها كل على حدة .

- علم المعاني من المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف، أو تعريف وتنكير، أو قصر، أو فصل ووصل، أو إيجاز وإطناب ومساواة .

- علم البيان أحد علوم البلاغة يعنى بكيفية إيصال المعنى الواحد بطرائق مختلفة، مدققا في تفاصيل التفاوت بين تلك الطرائق كاستخدام التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز.

- علم البديع هو العلم البلاغي الذي يُعرف به وجوه تحسين الكلام وتزيينه بمحسنات معنوية وأخرى لفظية .

- علم الأسلوب فرع من فروع اللسانيات ووليد علم اللغة الحديث، مجاله النص وموضوعه الأسلوب ومستوياته التركيبية والصوتية والدلالية .

- للأسلوبية اتجاهات عدة منها التعبيرية والنفسية والبنيوية...تتفق كلها في الدراسة النصية الوصفية، وتتباين في الآليات الإجرائية.

- الإحصاء والتصنيف والمقارنة آليات يعتمدها التحليل الأسلوبي لمعالجة الظاهرة الأسلوبية .

- ينتهج الباحث الأسلوبي عدة طرائق تحليلية بهدف كشف الجوانب الجمالية للعمل الأدبي منها : منهج إمكانات النحو، ومنهج الكلمات المفاتيح، ومنهج تحليل الانحراف، ومنهج الدائرة الفيلولوجية .

قائمة المصادر والمراجع

1-القرآن الكريم برواية حفص عن نافع .

1-الكتب

2-إبراهيم خليل: الأسلوبية ونظرية النص، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر الأردن، دت.

3-إبراهيم مصطفى وآخرون: المعاني، دط، دار الظاهرية للنشر والتوزيع، دت.

4-أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطابي: بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف الله ومحمد زعلول سلام، ط2، دار المعارف، مصر، القاهرة 1968.

5-أحمد كشك: اللغة و الكلام،دط، أبحاث في التداخل والتقارب، مكتبة النهضة المصرية دت.

6-أحمد مصطفى المراغي : علوم البلاغة، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م.

7- أحمد مطلوب: أساليب بلاغية،ط1، وكالة المطبوعات، دت.

8-أبو الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح : محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، ج1، 1981م .

9-أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل، مادة سلب، بيروت.

10- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: البلاغة، ط2، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الريفية، القاهرة، 1985م.

11- أبو العباس المبرد: الكامل في اللغة والأدب، دط، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المجلد1، وزارة الشؤون الإسلامية والوقاف، المملكة العربية السعودية، دت.

12- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة،ط1، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م.

13- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج8، ط3، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار صادر ، بيروت، 2008م .

14- أمين الخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دط، دار المعرفة، 1961م .

15- أيمن أمين عبد الغني: الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني)،دط، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، دت .

16- بدر الدين بن مالك : المصباح في المعاني والبيان والبديع، تح: حسني عبد الجليل يوسف، ط1، مكتبة الآداب 1989م.

17- بدوي طبانة: البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1958م .

18- أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دط، دار المعارف، 1963م.

19- بيير جيرو: الأسلوبية، ط2،ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، دت.

20- حسن ناظم: البنى الأسلوبية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002م.

21- حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، دط، منشورات الجامعة التونسية دت .

22- أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج1، دط، موفم للنشر، الجزائر 1989م.

23- رابح بوحوش: الأسلوبيات وتحليل الخطاب، دط، مديرية النشر جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، دت.

24- سعد سليمان حمودة: دروس في البلاغة العربية، دط، دار المعرفة الجامعية 1999م .

25- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعرا، تحقيق وشرح: محمد محمد شاكر دط، 1952.

26- شبكة المعارف الإسلامية: البلاغة الميسرة، ط1، مركز نون للتأليف والترجمة .

27- شكري عياد : مدخل إلى علم الأسلوب، ط1، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1982م .

28- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ط9، دار المعارف، القاهرة، دت.

29- صلاح فضل: الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1419هـ 1998م.

30- عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ط3، الدار العربية للكتاب، دت .

31- عبد العزيز عبد المعطي عرفة: تاريخ نشأة علوم البلاغة العربية وأطوارها، ط1، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، 1978م.

32- عبد العزيز عتيق: علم البديع، دط، دار النهضة العربية، دت .

33- عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دط، دار النهضة العربية، دت.

34- عبد العزيز عتيق :علم البيان، دط، دار النهضة العربية ،بيروت، 1985 .

35- عبد الفتاح بسيوني: علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، ط4، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، دت.

36- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، دط، تعليق: محمود محمد شاكر.

37- عبد الله بن مسلم قتيبة أبو محمد: تأويل مشكل القرآن، شرح: أحمد صقر، دط، المكتبة العلمية.

38- عبد الله بن المعتز: البديع، تحقيق: عبد المنعم خفاجي، دط: القاهرة 1954م.

39- أبو عبيدة معمر بن المثنى: مجاز القرآن،ج1، ط1، تحقيق: محمد فؤاد، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1954م.

40- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي .

41- البيان والتبيين، ج2، تحقيق: عبد السلام هارون، دط، مكتبة الخانجي.

42- الحيوان، المجلد 1، ج3، شرح وتحقيق: يحي الشامي ، ط1، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، 2003م.

43- عدنان بن ذريل: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2000م .

44- علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، دط، مكتبة البشرى، باكستان، 2010م .

45- علي عشرى زايد: البلاغة العربية تاريخها ومصادرها ومناهجها، دط، مكتبة الشباب، القاهرة، 1982.

46- عيسى علي العاكوب: المفصل في البلاغة العربية، دط، منشورات جامعة حلب، 2000م.

47- فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دط، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004م.

48- فرديناند دو سوسير: علم اللغة العام، دط، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: يوسف المصلي، دار الآفـاق العربية، الأعظمية، بغداد، دت.

49- [1]فيلي ساندیرس: نحو نظرية أسلوبية لسانية، تر: خالد محمد جمعة، المطبعة العلمية ، دمشق، ط 1، 2003م .

50- محمد أحمد قاسم: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، ، ط1 ،المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان ، 2003م.

51- محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، صف الكتاب: أبو عمر آل عبد المنعم.

52- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تاويل مشكل القرآن، تح: أحمد صقر، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، 1954م .

53- محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ط1، مكتبة ناشرون، لبنان، 1994م، 2004.

54- محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ط1، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1989م .

55- منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، مركز الإنماء الحضاري 2002م.

56- موسى ربابعة : الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ط1، دار الكندي، إربد، الأردن 2003م .

57- ميكائيل ريفاتير: معايير تحليل الأسلوب، ترجمة وتقديم وتعليق: حميد لحميداني، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993م .

58- نجم الدين إشولا راجي: أسلوب الكتابة في اللغة العربية، ط1، شمس للنشر والتوزيع، 2009م.

59- نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر،دت .

60- أبو هلال العسكري: الصناعتين، ط1، تحقيق: محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية .

61- هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص)، تر: محمد العمري، دط، إفريقيا الشرق، بيروت ، 1999م.

62- أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ط2، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م.

63- يوسف أبو العدوس: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2007م.

64- مدخل إلى البلاغة العربية، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، العبدلي الأردن 2007م،

المعاجم:

65- إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج1، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

66- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دط، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، دت.

67- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي: قاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي ،ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م.

68- مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة بيروت، لبنان، 1984م .

69- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، مصر العربية، 2004م.

70- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ط8، تحقيق: مكتب تحقيق التراث لمؤسسة الرسالة مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 2005م.

71- ابن منظور: لسان العرب، المجلد8، دار صادر، بيروت،دت .

المجلات والدوريات

72- خليل عودة: المنهج الأسلوبي في دراسة النص الأدبي، مجلة النجاح للأبحاث جامعة النجاح الوطنية، نابلس، المجلد2، العدد8، 1994.

73- سعد مصلوح: في التشخيص الأسلوبي الإحصائي للاستعارة، تطبيق على أشعار البارودي، وشوقي، والشابي، مجلة عالم الفكر، نوفمبر 1984م.

74- سليمـان العطار (الأسلوبية علم وتاريخ)، مجلة فصول، المجلد1، العدد2 1981 م.

75- يوسف وغليسي: مجلة علامات (مصطلح الانزياح بين ثابت اللغة المعيارية الغربية، ومتغيرات الكلام الأسلوبي العربي)، ج64، مج 16، فبراير 2008م.

المواقع الإلكترونية:

https://www.alukah.net

https://fethi12370.wordpress.com